رواية قصيرة
المُنْدَسّ
تامر محمد عزت
نينا محبوبة
PHOTOSHOP
DESIGNER 2021

المُندَسّ

****

رواية

جميع الحقوق محفوظه أسرار الكتب للنشر الأليكترونى

رواية المُندَسّ

الكاتب : تامر محمد عزت

نشر فى أكتوبر 2021

تصميم الغلاف : نينا محبوبة

تنسيق وتدقيق داخلى : تامر محمد عزت

إلى جدتي..أم والدتي.

الحبيبة/ زينب

لروحك الحب والسلام

***

"إذا أردت أن تستقي الحقيقة من أحداث قد جرت, فعليك أن تتجرد من عاطفتك, وتنزع عنك كل فكر مسبق, وتنظر إلى الأحداث بعين مجردة, وتذكر أنه لايوجد حادث بلا مقدمات".

منذر القباني

2009

على أطراف المدينة حيث تقبع تلك البناية الكئيبة ، تطل بوجهها على مفترق الطرق وخلفها على مساحة شاسعة من الأراضي الزراعية، مدخل المبنى يشبه الفك المكسور اسنانه، يبتلع ويلتهم أي شيء يدخل بجوفه، هؤلاء الزاحفون على درجات السلم يشعرون بالذعر والخوف من المجهول، وكأن جدران ذلك المبنى الكئيب يتضامن معهم، فالجدران دون طلاء يذكر، على المحارة كما يردد البعض، بقايا أسمنتية جامدة على جوانب السلم، اتربه وبقايا قش على الجوانب الأخرى، مصدر مؤكد لكل من لديه حساسية في الجيوب الأنفية، يصعدون واحد تلو الآخر كأنهم يساقون إلى حبل المشنقة.

في الطابق الثالث حيث الشقة مفتوحة الباب، ينتظرهم الصول مجاهد بزي الداخلية المعروف وشاربه الكث ولهجته الريفية، في انتظار أوامر وكيل النيابة القابع في حجرته مع كاتب المحضر، الغرفة الوحيدة التي بها حياة الحضر، طلاء زيتي اللون على الجدران، مكتب كبير، كراسي على يمين ويسار المكتب، سجادة تستر البلاط الغير منسجم نقوشه، يجلس وكيل النيابة الشاب مرتديا نظارته وقميص أبيض اللون ورابطة عنق سوداء لتطابق بنطاله الأسود، على يساره يجلس الكاتب، وعلى يمينه طفاية سجائر زجاجية لامعة.

في الخارج هرج ومرج بين الزحام، الكل في حالة متشابكة و متلاطمة كأمواج عاتية من المشاعر، خليط من الشغف والذعر والخوف والقلق وانتظار النتيجة، تساؤلات تهبط على رؤوسهم، لماذا؟ كيف ؟ ، على نافذة الغرفة الواسعة والتي هي صالة الشقة يقف شاب لم يتجاوز الثلاثين بعد، طويل القامة، نحيل، عيون غائرة، ذو لحية خفيفة وكأنها بقايا أثر سلفي الهوى سابقا، يراقب إنسحاب الشمس بعد أن تركت أثر نهائي لها على المساحة الشاسعة لكل ماهو اخضر يانع، بجواره يقف رجل خمسيني، الحاج مصطفى، متوسط القامة، بدين، أصلع الرأس مع بعض بقايا شعر رمادي اللون، عيناه تشع منها الحزن والألم، يتمتم بين الحين والأخرى بكلمات غير مسموعة أو مفهومه، قد تسمع (لماذا كل هذا؟) وأحيانا (ما كان ينبغي أن..) ثم ينقطع الارسال فلا نفهم شيئا، في خلسة من الزمن ينظر خلفه تجاه سيدتان تجلسان بجوار بعضها البعض، تراهما من بعيد تقول إنهما نسخة مكررة من بعضهما البعض مع فارق العمر، نفس الهيئة الجسمانية، الجسم المربع، رأسيهما بلا رقبة، بيضاء البشرة، العيون عسلية، ملامح الأم (إلهام) تشير إلى أنها تجاوزت الأربعين من العمر بعدة أعوام ، أما (منى) تشعر أنها غير بالية بالذي

يدور حولها، ترتدي ملابس ضيقة مع وضع الكثير من المساحيق على وجهها بدت وكأنها ذاهبة إلى فرح شعبي، عيناها تخبرنا بتمردها على أهلها و الواقع والمجتمع كله.

هؤلاء.. رياض، مصطفى، إلهام، منى.. من تم استدعائهم للاستجواب حول مقتل السيدة (ماجدة) الأخت الكبرى لـ(مصطفى) و(عبدالله) زوج (إلهام) الذي قدم البلاغ يتهم (منير) زوج أخته الذي اختفى بعد الحادث. مما استدعى الجميع للإدلاء بشهادته.

****

أسرار الكتب

الصدف هي تبرير الجاهل لما لا يفقه. منذر القباني

ريـاض

الاسم : رياض أحمد البربري

العمر: 29 عاما

المهنة: صيدلي حر

مكان العمل:

صيدلية د. رياض البربري، محل مؤجر تابع لعمارة عائلة (غانم) ، لأصحابه مصطفى غانم وعبدالله غانم.

- سؤال : ماذا تعرف عن منير وزوجته؟

لتبدأ الحكاية منذ البداية .. منذ 2007

2007

1

رياض

كان الطقس معتدلا إلى حد كبير في نهار هذا الشهر ، نسائم شهر أكتوبر تعطي الكثير من الإلهام للأدباء والشعراء ، أحب هذا الطقس الغريب الأطوار ، جلست على الكرسي في صيدليتي الخاصة وأخرجت ورقة بيضاء و هممت بكتابة خاطرة قفزت إلى رأسي بعد تفكير طويل ، فأنا أقرأ كثيرا واستلهم خواطري من تلك القراءات وأحاول مزجها بالواقع ، أفضل تدوين خواطري الشخصية في ورق قبل كتابتها في ملف وورد ثم نقلها على صفحتي الشخصية على الفيس بوك ، موخرا خطبت زميلة صيدلانية، تعرفت عليها عن طريق التعارف العائلي .

ما إن أنهيت كتابة مقالي حتى أتت تلك الاستغاثة والتي صدرت للمرة الثالثة - خلال هذا الأسبوع -من حنجرة مصطفى شقيق عبد الله أخيه الأكبر:

-" أنجدنا يا د/ رياض بالله عليك ، نريد منك جهاز قياس الضغط وجهاز فحص السكر لإعادة قياس وفحص عبد الله ".

تململت قليلا من هذا الطلب المتكرر ، أنا صيدلي ولست طبيبا بشريا،إلا أن واقع الصيدليات الحديثة النشأة أضافت مهمة جديدة غير مربحة ماديا للصيدلي وهي أن يكون " مُسعفا للطوارئ " حيث يضطر الصيدلي أن يذهب إلى المنازل للحالات الحرجة مثل قياس الضغط والسكر، بالإضافة إلى أنه لا مانع إطلاقا من إعادة تضميد الجروح الناتج من العمليات الجراحية ، وأيضا الحالات التي يصعب أن تنتقل من مكانها إلى الصيدلية كحالة عبد الله .

قبل أن أخفي ما سطرت على ورقتي ، أعطيتها عنوانا ملائما للموقف الذي حدث منذ لحظات

" ستعتاد على الأمر " ونصها كالآتي :

"قد يسألك أي إنسان عن أمر ما ..فتكون الإجابة :لقد تعودت على الأمر !! جُل البشر لا يريدون التغيير ؛فقد تعودوا على أمور قائمة في حياتهم وأصحاب القوة والجراءة هم فقط من يملكون هذا القرار ،أما الباقي فإنهم يريدون الحياة أن تبقى سائرة

على وتيرة واحده..أهمها الأمن والأمان والاطمئنان..
حتى في العقيدة ..فإن تغيرها تحتاج إلى زلزال قوي يدمر العقيدة القديمة حتى يحل محلها عقيدة جديدة وهذا ما أتعب الأنبياء والرسل.
أصحاب المصالح التي غزت حياتنا أيضا تعودوا على ذلك ..تعودوا أن يكون لهم القوة والسلطة والنفوذ.
والأخطر في التعود على أي أمر هو التخدير..
فأنت مخدر تماما..لا تشعر بأي جديد ولا تحس بمن حولك ولا بما يدور في هذا الكون..لا شئ..غير السأم والضجر.
عزيزي القارئ.. إذا أردت التغيير..عليك بالتدرج..فإن التدرج سنة الحياة.
التغيير المفاجئ والسريع ..عواقبه وخيمة في أغلب الأحوال لأن من حولك لا يحبون هذه السرعة بالرغم من أنه عصر السرعة !!
قرأت يوما قصة غريبة مأخوذة من أحد الأفلام الأجنبية ، فقد كان الزوج مشغولا عن زوجته..فتحولت إلى سلعة ..تبيع جسدها لمن يشتري.
وفي يوم وقفت أمامها سيارة فارهة وكان بداخلها رجل كبير السن ،فركبت وجلست بجواره وهي في قمة القرف والاشمئزاز ، بخبرة السنين قرأ هذا المسن هذا التعبير على ملامحها .
فأخبرها بكلمات موجزة :ستعتادين على ذلك !

وأذكر أن الفيلسوف ديوجين اعتاد أن يعيش في الزبالة ،فهو يرى أن الدنيا كذلك.

وهناك من أعتاد على سفك الدماء وأن اللون الأحمر إذا لم يُصبغ على الأرض..قد لا ينام
وأخيرا،،إذا صادفك أي تغيير مفاجئ ودون رغبتك..فقط تذكر..أنك ستعتاد على ذلك..النفس البشرية مازالت لغزا محيرا في هذه الحياة " .

طلبت من السيد مصطفى أن يعود إلى منزله وأنني سأقوم بتحضير الأجهزة المطلوبة ولن أتأخر.

لا أحب أن يراني أحد وأنا سائرًا بجانب أحد عملاء الصيدلية في الشارع ، حتى لا يظن من حولي أنني سهل المنال ،وأن لابد من تواجد مساحات فاصلة بيني وبين الناس ، فقد تعوّد الناس على طريقة التحكم عن بُعد حتى يقضوا حاجاتهم مثل الاتصال بعامل توصيل المطاعم والسوبر ماركت ...الخ إنها عادة الجماهير .

أخفيت الأجهزة الطبية في كيس أسود وترجلت شاردا إلى منزل عبد الله .

كانت ثوان معدودة فاصلة بين الصيدلية والمنزل ، كان الطقس مائلاً للحرارة بالخارج واندهشت للاختلاف بين الطقس داخل وخارج الصيدلية، فشردت قليلا وتذكرت طقس المملكة العربية السعودية ، فقد عدت منها منذ عام ونصف ؛ كي افتح باب رزق في وطني اسمه (الصيدلية) ،كنت أظن أن الصيدلية ستدر دخلا محترما كي أعيش حياة كريمة من أرباحها ، والحياة أجمل بين الأهل والأصدقاء ،بدلا من الغرق في بحور الغربة المتقلبة الأمواج ، فالغربة قد تجعلك تحترق كالشمعة من الطرفين ، تزداد إضاءة وتقصف عمرك مبكرا ، وأن تتعب لنفسك خير من أن تتعب لغيرك مقابل أجر شهري .

لكنني اكتشفت أنني كنت مخطئاً ، وأن الحياة بمصر يلزمها الكثير من التنازلات وكان اكتشافا مذهلا ، أنه عندما تقدم للناس شيئا بلا ثمن فإنهم يزهدون فيه ولا يقدرونه حق قدره.

أفقت من حديث النفس وهبطت إلى أرض الواقع أمام بيت عبد الله ، فهي عمارة صغيرة مكونة من ثلاثة طوابق ، الطابق الأرضي يسكن فيه عبد الله وزوجته , والطابق الأول علوي كان من نصيب أخيه مصطفى وأخيرا الطابق الثاني والأخير احتله منير زوج أختهم.

كان عبد الله راقدا بلا حراك على سريره ، مسجى في إعياء تام ،و بالرغم من هيئته التي تدل على قوة جسمانية وعصبية إلا أنه قد ظهر للجميع شاحب الوجه أميل إلى الاصفرار ، عمره لم يتجاوز الخمسين ربيعا ، ضخم البنيان ، أصلع ، عيون غائرة من الوهن والضعف ، نبتت لحيته فأعطت لمظهره الخارجي الكثير من التعاطف معه، جلست على الكرسي المجاور لسريره وبشكل موازي لجسده وضعت جهاز الضغط محاولا سماع نبضات قلبه الخافتة ، في حين كان انتحابه عاليا مما جعلني أعيد القياس مرات متكررة ، لاحظت أن دمعته تفر من سجن محجرها في هدوء تاركه آلامه الداخلية في صراع .

سألني مصطفى عن حال عبد الله بعد قياس الضغط كنت في هذه الاثناء افحص السكر ، تعوّدت على أن لا أتورط في الإفراط في الشفقة ، حتى لا أفقد توازني وأؤدي عملى بشكل صحيح .

-"هبوط حاد في ضغط الدم ومستوى السكر منخفض ؛ بسبب حالته النفسية السيئة ".

هكذا أجبت على مصطفى الذي كان واقفا بجوارى والوحيد الذي كان بالغرفة ، لاحظت وجود كيس من الأدوية بجوار سرير عبد الله لم تكن موجودة في المرات السابقة ، تناولتها في عصبية ونظرت بداخلها سريعا ووجدت انها بعض الأدوية

المهدئة ، ألقيت بالكيس بشيء من العصبية ، عكست المرآة المثبتة على الحائط صورة رجلٍ حانقاً ملأت عينيه وقلبه شئ من الغيرة ثم خرجت سريعا من الغرفة غير مبالي بنظرات الدهشة التي قفزت من عيني مصطفى.

عدت إلى صيدليتي حانقا من هذه الزيارات المتكررة، وما إن رأتني المساعدة التي تعمل معي حتى سألتني عن حال المريض.

احتقن وجهي وزمجرت قائلاً:

أنا أذهب إلى المنازل ولا أحصل على أجر مادي ، وتكون كلمات الشكر في أصنافا من الأدوية قد تم صرفها من صيدلية أخرى ، لماذا هذه الازدواجية من معاملة الناس، وهل أنا فتحت هذا المشروع كي أكون مسعفاً للطوارئ ؟ لو أن طبيبا بشريا ذهب لفحص المريض في دقائق معدودة لنال أجرا عاليا .

ثم زفرت في ضيق وحنق وأكملت :

إنها البشرية التي تضع كل شئ في غير مكانه الصحيح ولا يهتمون بمشاعر الآخرين لأنهم لم يعودوا يفكرون إلا في مصلحتهم فقط ".

***

في نفس اليوم

لم أكد أنهي مكالمتي الهاتفية حتى تغيرت ملامح وجهي و قفز قلبي من مكانه وكأنني رأيت شبحاً ،فالرجل الذي دلف إلى الصيدلية حاملا على وجهه المستطيل ابتسامة ماكرة ووقف أمامى ، كان طويلا،نحيفا ،عيناه خضراوان غائرتان في محجرهما يشع منهما بريقا من المكر والدهاء ،ذو أنف طويل مدبب،مرر أصابعه عبر شعره الذي خطه الشيب ، لاشك أنه كان قد بلغ الستين ولكن لم يكن شعره قد تساقط ، ثم إن من هيئته الجسدية التي بلا انحناء أن الزمن لم يترك بصمته بعد، كانت تلك هي المرة الأولى الذي أراه فيه هذا الرجل الغامض بالنسبة لي.

عندما تلاقت نظراتنا شعرت بالضيق وتسارعت أنفاسي على نحو غريب وتشوشت أفكارى لبرهة من الوقت لم يتجاوز الثواني

ألقى السلام في خفوت وأخبرني أنه منير زوج أخت مصطفى وعبد الله .ثم أخرج ورقة مطوية من الجيب العلوي لقميصه الأبيض واعطاها لي و اندهشت لصنيعه فقد كان ينظر إلى الجانب الآخر يتبعها بالنظر أسفل قدميه ، فتحت الورقة فوجدتها وصفة طبية وبدأ في تحضير ما بداخلها ، وقبل أن أدون على الأدوية طريقة الاستخدام أوقفني منير وصاح بتلقائية :

لا تُدون أي شئ يا د.رياض ، أعتقد أنها أدوية لعلاج قرحة المعدة والقولون العصبي والغازات والانتفاخ أليس كذلك ؟

استأت ومطت شفتي لأن هذا يعني أن الأدوية لن تخرج من الصيدلية وستعود من رحلتها القصيرة إلى مستقرها ومستودعها مرة أخرى وعلى مضض قلت :

نعم ، إنها كذلك يبدو أن لديك مشاكل بالمعدة والقولون العصبي .

عقد منير حاجبيه وقال : تبا لهؤلاء التجار الذين يدّعون أنهم أطباء ، إنهم يكتبون نفس الأدوية ولكن لشركات مختلفة عن المألوف والمعروف لدينا ، عليهم اللعنة وعلى ال deal الذين يقومون به مندوبي الدعاية مع الأطباء وكل ذلك على حساب المرضى المساكين .

دُهشت من هذا التوضيح الصريح مما جعلني أتساءل لمعرفة المزيد :

وكيف علمت بهذه المعلومات الخطيرة ؟

ابتسم منير وغمز بعينيه ثم قال : من الحياة.

لم ارتاح لهذه الإجابة الغامضة التي خرجت من الشخص الغامض ، فلم تكن هي الإجابة المطلوبة ، جمعت الأدوية من جديد ؛ كي أعيدها لمكانها .. لكن منير أوقفني للمرة الثانية وأخبرني أنه بحاجة إلى هذا العلاج.

وبعد المداولة السريعة بيننا قلت في هدوء: لقد كنت اليوم في زيارة الأستاذ عبد الله .

بدون اهتمام ولا مبالاة وأصابع منير تعبث بالأدوية قال :

إن الأمر لم ينتهي بعد إذن ..أرجو أن يكفوا عن تحريك السكين في الجرح ..شكرا د/رياض.

حل صمت ثقيل في الصيدلية بعد خروج منير الذي ترك ابتسامة كاذبة ،لم أصدقها وجلست فوق الكرسي وتساءلت : ما الأمر الذي لم ينتهي بعد ؟سكين ؟ جرح ؟ من هذا الرجل ؟ وما هذا الغموض ؟

لم أكترث كثيرا وعدت إلى شاشة الحاسب الآلي متابعا بعض المواقع الإلكترونية.

***

" الازدحام"

ليس البُعد عن الازدحام يمنحك الهدوء ،فقد يكون الازدحام بداخلك ،يصاحبك أثناء قيامك و قعودك ورقودك ،إنما المقصود من الابتعاد أن تفض هذا الاعتصام السلبي بثورة إيجابية لتعود هادئا في انتظار زحاما جديدا. الاضطرابات الداخلية ناتجة عن تراكمات لمثل هذا الصخب . هيا أفرغ حمولتك الثقيلة في أقرب سلة مهملات .الشمس تسطع يوميا ولا يحجب أشعتها الذهبية ولا ضوئها المبهر إلا تراكم الغيوم أمامها .لا تحترق ولا تحرق نفسك كثيرا . لا فائدة من احتراق الشمعة فهي تذوب وتنتهي من طرف واحد".

أغمضت سهام خطيبتي عينيها بعد أن قرأت هذه الخاطرة وتنهدت ثم نظرت بعينيها العسليتين إلى بحب وبصوت عذب قالت : "رائعة "

تأملت سهام وقد امتلئ عينيها بالإعجاب الصادق ، سهام صيدلانية تعمل بأحد مستشفيات الحكومة ،حديثة التخرج ، وإذا كنت طويل الطلعة باهي المحيا ، أنيق الملبس ، هادئ الفكر أحيانا كما تصفني فقد رأيت الشخصية المكملة لي ، فهي طويلة القامة ،رقيقة الملامح ، بها حور في عينها اليمنى كانت سر جاذبيتها وجمالها ، ثورية الفكر ، متمردة أحيانا .

كان هذا هو اللقاء الأسبوعي في منزل والدها ،حيث أزورها لمدة ساعة أو ساعتين يوم الجمعة ، أثناء زيارتى أخبرها بأهم الأحداث التي حدثت بالصيدلية ، علاقتي بالناس ، أجعلها تقرأ خواطري..الخ

قلت تعقيبا على كلمتها : شكرا

قالت مشجعة : استمر في كتابة خواطرك ولا تقف.

تنهدت في ألم ثم قلت : إنني أحاول ، فالفراغ كبير.

احتضنته بعينيها وقالت في حب : لا تقلق ، فالرزق مقسوم ، والمستقبل قادم ولا تنس أن الصيدلية مشروع طويل المدى ويحتاج إلى صبر وجهد وتعب و..

قاطعتها : وأموال ...إنني أسير كالسلحفاة

قالت سهام بحماس واضح : التغيير قادم

استنكرت كلامها : هذه الشعارات الثورية التي تعتقدين بها سوف يأتي اليوم وتضعيها في أرشيف الذكريات

- لِمَ ؟
- أنتِ مؤمنه بالتغيير في برجك العاجي ولم تنزلى إلى الناس على أرض الواقع وهذه محاولات غير عملية في واقع غير علمي
- لابد من المحاولة ..اليأس خيانة

ضحكت وقلت : شعار آخر

- أنا مؤمنة به
- التغيير لابد أن يكون بالصدمات
- الصدمات قد تغير إلى الأسوأ
- وقد تغير إلى الأفضل
- إذن فهو سلاح ذو حدين ،وهذا السلاح لا يصلح لأي تغيير نريده بحد واحد .

سكتت ولم أعقب ثم تذكرت عبد الله وقال :

لدي مريض أعوده في بيته، إنه يعيش حالة من الصدمة وعندما أعلم بحكايته سأخبرك

لم تبالي بما قال وسألته : وماذا تقرأ هذه الأيام ؟

أجبت:

أقرأ البشر حتى أخرج من حالة الملل التي أسكن بها ،فإن كل يوم والناس في شأن مختلف ،إنهم سريعي التغيير فالأحداث التي يمرون بها تؤثر عليهم تأثير قصير المدى والعجيب أنهم يتحاورون ثم يختلفون حتى أنهم كادوا يتقاتلون والأعجب أنهم يهدأون ويواصلون حياتهم وكأن شيئا لم يكن ..أليسوا ممتعين ؟

إنهم أحجار على رقعة الشطرنج ..يُنقلون من أماكنهم و يغيرون آرائهم يوميا بأصابع خفية وهم في حالة من اليأس والاستسلام.

قطع حديثه رنين جواله والذي ظهر اسم الحاج مصطفى على الشاشة المضيئة

تأففت ثم قلت : حتى في وقت الراحة ؟

وبعد أن استمعت للمتحدث من الجانب الآخر

أجبت وقلت للمتصل :

عفوا أستاذ مصطفي إنني في مشوار خاص ولن أعود قبل ساعتين من الآن..مع السلامة.

لاحظت سهام عصبية خفيفة من طريقة حديثي وسألت : ماذا بك ؟

أجبت بـ ضيق وحنق :

هل تعرفين المثل الشائع " الشئ الذي بالمجان أكثر منه "، هذا ما أعانيه من بعض.. ، بل من معظم الناس ،يظنون أن الصيدلي الذي يتعاطف معهم ويتعامل بإحسان وصدق أنه ليس إنسانا طبيعيا و أن عليه العمل بالصيدلية آناء الليل وأطراف النهار وأن يكون مرتديا ملابس الطوارئ وفي انتظارهم في أي وقت .لقد سئمت من هذا المجتمع ،المجتمع الذي ترى فيه بوادر للتغيير ! سحقا!

سهام : اصبر ..إذا أردت أن يكون لك قاعدة شعبية فلابد أن تتحلى بالصبر وكما أخبرتك أنت في بداية الطريق .

ثم رمقتني بنظرة جادة وقالت : أنت أيضا تريد أن تتغير

نظرت لها وسكت ثم نهضت واقفاً لأغادر المكان

سألتني سهام في ذعر وهي تتطلع إلى الساعة المثبتة على الحائط :

إلى أين ؟

قلت ساخرا: أذهب كي أتغير.

***

زيارة أخرى من منير جعلته يكثر من الكلام ،ارتبك منير وأحس أنه قد أ كثر في الكلام مما قد يوقعه في الخطأ وقدم الشكر لشخصي على هذه الاستضافة والتي كانت إجبارية في واقع الأمر وغادر على أمل بلقاء آخر . مرة أخرى حل صمتا ثقيلاً في الصيدلية ،واحترت في تحليل شخصية هذا الرجل العجيب ففي كل زيارة يُلقي بكلام غامض في عقلي ويهرب .

وبعد ساعتين ظهر مصطفي مرة أخرى وقال : نعتذر لك يا دكتور على هذا النداء المتكرر. ابتسمت في شحوب وبحركة آلية قمت من مكاني وبدأت في تحضير الأجهزة

وكـــــادت تتكســـــر أســـــناني مـــــن شـــــدة الغـــــيظ ثـــــم قلـــــت : لا عليك ..فقد تعودت.

***

بعد عدة أيام دلف إلى الصيدلية رجل حليق اللحية له شارب خفيف ، أنف مدبب ،قصير القامة، نحيف الجسد ، انه الشيخ سيد ،خطيب مسجد " أبو بكر الصديق " وبالرغم من أنه ليس خرّيج أزهري إلا أنه اجتهد ودرس لمدة عامين في معهد إعداد الدعاة وسُمح له بإلقاء خطب الجمعة وإلقاء الدروس في المساجد ، وهو أيضا جار عبد الله.

بابتسامة هادئة قال : جزيتم خيرا يا د.رياض على صنيع معروفك مع أخينا عبد الله. وأخيه مصطفى يثني عليك ثناءً حسنًا ويمدحك بظهر الغيب، بارك الله فيك وجعل عيادتك للمرضى في ميزان حسناتك.

كانت وقع كلمات الشيخ سيد على قلبي كالنار وفي قلبها سيدنا إبراهيم برداً وسلاماً ،فإذا لم يكن هناك أي عائدا ماديا من تلك الزيارات ،فأضعف الإيمان هو الدعاء .

ابتسمت وقلت له: لا شكر على واجب ..شفاه الله وعافاه .

أكمل الشيخ سيد ما انتهى عنده منير وكأنهما كانا معا وترك له الميكروفون:

عبد الله طيب القلب وهادئ الطباع وحسن النية ولكن ابنته المدللة وطباع زوجته الحادة أغرقوا عقله في الشقاء ، وقد سافرت زوجته للعمل خارج مصر ، وظن أن الحسد وعيون الناس لهم دور في أزمته ،ولكن هناك سر في هذا الأمر ،فالبيوت مليئـــــــــــة بالأســـــــــــرار الخفيـــــــــــة والمعلنـــــــــــة .

في هذه الأثناء دخل مصطفى في عجالة ووجه مليء بالقلق والتوتر ومعه وصفة طبية وصفها بالعاجلة ، فحالة عبد الله قد تدهورت بشكل مفاجئ ولم يستطيعوا أن ينقلوه إلى العيادة فطلبوا الطبيب هاتفيًا الذي حضر وبعد الفحص الطبي طلب منهم إحضار هذه الأدوية على وجه السرعة..كانت الوصفة عبارة عن أمبولة مهدئ و محلول جلوكوز ملحي وجهاز محلول و كانولا 18 وسرنجة ولاصق طبي ، تم تحضـــــــــــــير الوصـــــــــــــفة ســـــــــــــريعا

ثـــم ذهبنـــا نحـــن الثلاثـــة بخطـــوات ســـريعة إلـــى منـــزل عبـــد الله بـــالقطع انتبـــه مـــن بالشـــارع وازداد الفضـــول عـــن مـــا الـــذي يجـــري ؟ ولا أحد يعلم إن هذا فضولا أم أنهم على الاستعداد للمساعدة.

***

صارت غرفة عبد الله كأنها غرفة في مستشفى ، سيدة أربعينية تناولت الكيس من مصطفى بمهارة وخبرة كبيرة قامت بمنتهى المرونة بغرز الكانولا في وريد عبد

الله ، واوصلته بجهاز المحلول المتدلي من المحلول ذاته لمعت عيون الجميع بإعجاب لهذا الصنيع ، ميلت على أذن الشيخ سيد وسألت بهمس :

من تكون هذه السيدة ؟

فأخبرني بصوت خافت أنها (إلهام) الممرضة وزوجة عبد الله .
استدارت إلهام ورأيتها لأول مرة ،واقشعر بدني لحدة عينيها الضيقتين ، وطول أنفها، ووجها المربع أعطى لقسمته نوعا من الجدية والحزم ،بشرتها بيضاء مشربة بحمرة ، يعطي لك إيحاء أنها من سلالة الإنجليز ذو الدم البارد ،تأملت وجهها المنحوت خشبيا وكأنه لم يعرف ثنايا الضحك ، أعادت إلهام النظر لزوجها مرة أخرى ولم يتضح عليها أي نوع من القلق أو الاضطراب ، وكأنها تتعامل معه بصفتها ممرضة وليست زوجته.
تطلعت لمن في الحجرة فلم أجد منير .ولم أجد ابنتهما ، وخلال دقائق من الهدوء ،خرجنا جميعا ومعي مصطفى والشيخ سيد.
في الشارع.. دار حوار بين الشيخ سيد ومصطفى وكان لي نصيب أن أسمع من الأسرار ما تم الكشف عنه في نهار واضح .

سيد : لابد أن تهدئة عبد الله يا حاج مصطفي ، لابد أن تعرف السر الذي صار مثل الحجر الثقيل الجاثم على صدره .
مصطفى : ماذا أفعل ؟ لقد أعطونا فرصة عظيمة لأن نبحر في بحار الخيالات والأوهام ومنحوا للناس فرص إطلاق سوء الظن والإشاعات ، إننا نحصد ما زرعوه من لامبالاة وإهمال وغفلة والتدين الزائف.
مصطفى بأسي : لقد عانينا من هذا التدين الزائف ، ومن الأسرار، ومن عدم المصارحة ، وغياب الوعي الديني مسئولية كبري .
ولأنني لم أفهم شيئا من هذه الطلاسم ؛فاستأذنت منهما وأخذ حيرتي معي محاولا أن أستجمع خيوط المشكلة ولكنني فشلت.

عدت إلى صيدليتى لأجد صديق العمر وجار عبد الله والشيخ سيد ..صديقي خفيف الظل والعقل عمرو والذي يعمل بمهنة المحاماة ، كان يمسك بورقة تركها مكانها فور رؤيتي.
عمرو : أين كنت أيها الصيدلي الأديب ؟

بضيق : كنت في زيارة ميدانية لجاركم العزيز عمرو متسائلا : عبد الله ؟
ضحكت وأجبت : لقد ذاع صيته إذن ، اعتقد أنني سأسمع به في وسائل الإعلام

قريبا وبرامج التوك شو ،وسأقرأ عنه في الصحف الإلكترونية .
عمرو : لماذا كل هذه العبارات الساخرة ؟ !

-أنت تعرف يا عزيزي أن مجتمعنا تفوق على شهرزاد وحكايات ألف ليلة وليلة ،الحكاية ببساطة أن منى ابنته كانت عروسة منذ أشهر قليلة وبعدها تم الطلاق ، ولو أننا نعيش في عصور قديمه أو في فترة زمنية سابقة لأصبحت حكاية غريبة وتنتقل من بيت لبيت آخر ، أما حاليا فهذا الأمر أصبح عاديا وظاهرة طبيعية أن تتزوج فتاه ثم تُطلق بعد شهور أو سنوات قريبة من زواجها ومع ذلك وما إن عادت منى إلى بيت والدها إلا وكانت تلاحقها الشائعات والقصص الوهمية البشرية الصُنع ، إنه الفراغ يا عزيزي.
-أتفق معك ولكنني وجدت والدها في حالة من الانهيار العصبي وهذا ليس من علامات الإيمان بالقضاء والقدر ،وملامح والدتها غلبت عليها الجمود كتمثال فولاذي ثم سمعت منذ قليل عن إهمال ولا مبالاة وتدين زائف ثم سر يدفنه عبد الله في أعماقه ومنير يشعر بأن هذا طبيعي ...و...
قاطعني عمرو وسأل : أرأيت منير ؟
- نعم
=احذر منه
- لماذا؟
= منير هذا داهية وتحوم حوله الشبهات الكثيرة وعلمت من أحد أصدقائي يعمل في إدارة المباحث أنه تحت المراقبة ، إن هذا الرجل أخطر ما تتخيل وقبل أن تسألني لماذا؟ أجيبك ..لا أعلم بالتحديد .
انتبهت لكلمات عمرو التي أكدت لى هواجس كانت تحوم حول ذهني ثم سألت:
أين منى ؟ لم أرها أبدا ولا حتى مرة واحدة ؟
قام عمرو من مكانه ومد يديه وكأنه يفتش في جيوب القميص والبنطلون وهو يسأل : أين ؟ أين ؟
ثم ضحك وقال : ليست معي هاهاها.
ضحكت رغم ركام الغيوم التي تخيم على القلب وتعمي البصيرة ولكنني لم أخرج من حالتي الحائرة ، وخصوصا بعد الغموض الذي يحيط بمنير
غادر عمرو وتمددت أصابعي لألتقط الورقة التي بها خاطرة جديدة وقرأت :
" نحن نعيش على قنابل موقوتة اسمها متطلبات الحياة و أحطنا أنفسنا بكم من الطاقات السلبية وبقى أن تمتد أصابع هذه الطاقة إلى سحب فتيل تلك القنابل لتنفجر، فنحن نفجرها يوميا في بعضنا البعض ،قتلنا مشاعرنا الإنسانية التي تسمو وتحلق في فضاء الحب والأمل ، لقد تحولنا إلى بقايا ،بقايا إنسان ،وسنبقى هكذا حتى يدعونا التراب إليه مرة أخرى ؛ليذيب هذه البقايا ".

في بعض الأحيان قد تكون الحقيقة واضحة كالشمس; ولكن من شدة وضوحها لا نستطيع النظر إليها.

منذر القباني

إلهام

الاسم : إلهام سمير فرج

العمر: 44 عاما

المهنة: ممرضة

مكان العمل: المستشفى العام.

سؤال : ماذا تعرفين عن منير وزوجته؟

إلهام

كانت غرفة نومي في حالة من الفوضى العارمة كأنها كانت مسرحاً لمظاهرات بين فريقين متضادين وألقوا بكل أسلحتهم في الغرفة أو تسوماني قد أغرقها وخلفت وراءها كم من الملابس مبعثرة على السرير وفوق الأرض .حقيبة سفر كبيرة الحجم خاوية البطن جائعة من خلوها من الملابس ، الأحذية وفرشة الأسنان ومعجون الأسنان ومزيل العرق والملابس الداخلية مبعثرة بشكل عشوائي في كل مكان ، كان ذلك خطأ ، لقد اعتمدت على ابنتي منى في تحضير وإعداد حقيبة السفر وذلك لأنني ذهبت إلى مشوار خاص لشراء ما تبقى من أغراض تلزمنى في السفر لخارج البلاد

أسرار الكتب

تساءلت ماذا كانت منى فاعلة قبل هذا التوقيت؟

منى فتاة مراهقة ،مدللة ،زهرة برية ،تشبهني كثيرا في ملامح وجهي . ذات شفتين منتفختين، و بالكاد تبلغ السادسة عشر من العمر ،ومع ذلك كانت صدرها المكتنز تجذب الكثير من النظرات الذكورية ،من الممكن أن تشعر بأنها فتاة لعوب تعطي لكل حركة من حركاتها نوعا من الشبق المثير ، فقد استغلت غيابنا ووضعت أحدث أشرطة الأغاني الشعبية في المسجل الخاص بها ، وقامت بالرقص على ضجيجها المؤذي للأذن

منى في المرحلة الثانوية التجارية في الصف الثالث ليس لديها أدنى اهتمام بالتعليم ،كل ما تهتم به هو الحفاظ على ثورة شبابها أن يظل مشتعلاً ،ولم تدر أن هناك ثورة غضب قد اشتعلت في غرفتي منذ قليل ،ذعرت منى وارتعدت فرائصها وارتبكت بشدة من صراخي و ندائي الذي كان أعلى من صوت الأغنية الهمجية التي انفعلت معها، أغلقت المسجل سريعا وطارت إلى غرفتي لتجد في انتظارها ملامح قاسية ونظرات حادة يتطاير منها شرر الغضب وصحت : أيتها المستهترة ..ألم أنبهك أن تقومي بإعداد حقيبتي ،السفر خلال ساعات قليلة ،وبدلا من رؤيتك حزينة دامعة العين لفراقي أجدك ترقصين، يا لكي من إنسانة باردة العواطف ، لعينه الطباع !

أنحبس صوت منى خلف أسوار شفتيها وتحركت سريعا لإعادة تنظيم هذه الفوضى. جلست على كرسي خارج الغرفة لإفساح المجال لمنى بأن ترتب الحقيبة وفي نفس الوقت أراقبها.

شردت قليلا ، فهذه هي المرة الأولى التي سوف أترك بيتي وزوجي وابنتي وأسافر للعمل في إحدى المستشفيات الحكومية بالمملكة العربية السعودية ،فرصة ذهبية لن تعوض ولن تأتي كثيرا لمن في مثل مهنتي وهي التمريض ولا لمثل عمري ،صحيح أنني وزوجي لسنا بحاجة إلى المال الوفير ، فلدينا ابنة وحيدة ولدينا بيتنا الخاص في منزل العائلة وجمعنا من حطام الدنيا ما يكفي لزواج ابنتنا ، ولكنني أريد الهرب من نظرات منير زوج أخت عبد الله .

تنهدت بعمق وتذكرت عندما كان يطاردنى في المستشفى وتزوج أخت زوجى ثم نقلا للحياة بالدور الأخير في العمارة التي نسكن بها ، والحال تغير تماما ..تنهدت بعمق وأغمضت عيني ورجعت برأسي للوراء وتذكرت.

***

أتى منير إلى المنزل وعادت مع قدومه أنوثتي ،فهو لم يستطيع أن يخفي إعجابه بي ،عيناه الخضراوان تنبعث منهما الإعجاب الخفي التي أعادت لي أنوثتي بعد مرور سنوات عجاف وبالرغم أن لدي فتاة في سن المراهقة ، إلا أنني افتقدت أنوثتي وتجمدت ملامحي وأصبح مزاجي حاد ،زوجي رجل طيب القلب و يعمل سائق أجرة ولكنه لا يجيد فن التعامل مع زوجته ، كما أن لديه مشكلة بالإنجاب ؛ لهذا كانت منى هي الثمرة الوحيدة التي أزهرت في حديقة حياتنا ، حتى أتى منير .. وأشبع رغبتي بنظراته في البداية ،كان الالتهام واضحا ، من داخلي كنت سعيدة وفي نفس الوقت تعيسة واعتبرتها خيانة.

ذات نهار صعدت إلى السطح لجمع الملابس النظيفة الجافة قبل أن يهبط الليل بغموضه ، وأثناء انشغالي بجمع الملابس ظهرت العيون الخضر أمامى في رغبة متوحشة ، ارتعدت فرائصي و بحكم مهنتي فقد قرأت أنهما غير

طبيعيين ، إنهما مضطربان و بهما نوعا من الهلوسة ، اضطربت وسألت بحدة : ما الذي أتى بك إلى هنا ؟
منير كان بحالة غير طبيعية بالفعل ، فقد امتدت يده اليمنى ليمسك بكل قوة ذراعي الأيسر وقال بشغف :
أحبك ، لم أعد أستطع أن أتحمل ،اشتاق إليك.
وهم أن يضمني بين أحضانه إلا أنني استجمعت قواى وسحبت ذراعي بقوة وافلت منه وقلبي يسبقني إلى الهرب ، كدت أن أقع وأنا أهرب منه ، أعصابي كانت منهارة وخارت قواي ولم تحمل قدماى تلك المفاجأة العنيفة ،وأثناء قيامي حاول منير أن يحيطني بين ذراعيه من ظهري إلا أنني قاومت بجسدي الثقيل إلى الخلف ثم استدرت و دفعته بكل خوف ورعب وخرجت قوة عجيبة من قبضتي في صدره الذي ترنح للوراء وسقط أرضا .
لم أسمع ماذا قال ..فقد كان غاضبا وأنا أغلي بالجحيم، فررت هاربة من جحيم الخيانة وجهنم الإثم .
وتتساقط أوراق الأيام والشهور ، لابد من حل لهذا الغزو الخارجي ،كان السفر هو الحل أو بمعنى أدق ..الهرب ، أنا لا أستطيع أن أخبر الجميع بالذي حدث ..سيكثر الكلام وستصبح حجتي ضعيفة مهما قلت وخاصة أن أخت زوجها كبرت في العمر وأن هذا هو الزوج المناسب لمن مثل حالتها.
السفر هو الحل .. الجميع فهم أننا بحاجة إلى المال وخاصة أن منى على وشك الزواج ونريد أن نجهّز ابنتنا الوحيدة بأثمن الممتلكات.
كانت تلك هي الحقيقة الزائفة .
" لقد انتهيت "
أعادتني عبارة منى إلى الواقع من جديد، وفتحت عيناي لأنظر مليًا إليها ، ناظرة إلى أنوثتها الثائرة ، منى مطمع لأي ذئب لا يرحم الشاه الضعيفة .
كنت أنظر إليها وأتحدث إلى نفسي:
إنني أهرب بكِ أيضا يا منى ،أهرب بكِ من نفسك ومن سامح ابن عمك ، أعلم أنكِ تحبيه ولكنه أيها الساذجة لا يحبك ولن يفعل ، إنه يعيش في عالمه ..لابد أن نهرب جميعا، قدرنا هو الهرب ، من لا حيلة له عليه بالهرب ، المواجهة مدمرة لأمثالنا ، سأسافر وسأشتري قطعة أرض أو شقة تمليك ؛ ليصبح لنا عالمنا الخاص بنا ، بعيدا عن منير الشبق ومن عالم سامح الذي ليس لكي فيه مكان .
سافرت ولم أتعلم من فلسفة الجملة الشهيرة " الوقاية خير من العلاج " ، لم

أسرار الكتب

أكن أعلم أن منى في حالة حرجه من العمر وأنها بحاجة إلى الأمان والاحتواء و الحضن ، ولم تكن بحاجة إلى بيت أو مال.

***

عدت إلى بيتي بعد عام من السفر ، وجدت تغييرات كثيرة قد حدثت ، منى ارتدت النقاب ، و أخبرتنا بعزمها المؤكد أنها ستكمل دراستها في العام المقبل ، وأن هذا الصيف سوف تلتحق بمعهد ديني لإعداد الدعاة ..كان التغيير مفاجئ وصادم

عادت الشكوك تزورني فأنا لم أقتنع كثيرا بهذا التغيير من منى، وقارنت بين منى "الماضي" الفتاة المدللة إلى منى " الحاضر" فتاة ملتزمة و مرتدية النقاب وترتاد المساجد

إن الانقلاب المفاجئ لابد من وراءه سر خطير لا يعلمه أحد إلا الله

في كامن أعماقي أعلم أن هذا التدين المفاجئ هو غطاء كثيف لإخفاء حقيقة ما .. يبدو أن منى ورثت جينات الهروب بدلا من مواجهة الحقيقة.

الوحيد الذي كان على قناعة بهذا التغيير هو (وائل) ، ذلك الشاب الذي يعمل في سنترال المنطقة ،عمل لا فائدة منه ،وخصوصا بعد انتشار الجوالات بين الناس ، لم يكن هذا المحل إلا مجرد نشاط تجاري خالي من النشاط العملي

وائل حاصل على دبلوم فني تجاري منذ سنوات قليلة، متوسط القامة، يرتدي نظارة طبية ، ملئ الجسد ، يبدو عليه الهدوء والالتزام ، ليس وسيما ولكنه مقبول ، والده يعمل سائقاً لناقلات الشحن الكبرى ، ولأن وائل هو وحيد والديه رفض العمل معه في هذا المجال على غرار "لن أعيش في جلباب أبي "، فأراد أن يثبت ذاته ولكن من تحت الصفر وكانت تلك هي البداية التي يراها والده أنها بداية عقيمة

وائل تطلع إلى مظهر منى الخارجي ، وأعجب بها جدا ورأى أنها مناسبة له وأبلغ والده برغبته في الزواج منها خاصة بعد التزامها

والده رحب بالفكرة رغم اعتراضه على شخصيته وشخصيتها ، إلا أنه وجدها فرصه ليصبح ولده الوحيد مسئولا ، وقد يكون هذا الزواج سبباً في تغييره للأفضل فهو سلبي بلا شخصية وليس لديه أدني طموح لتحسين مستواه الاجتماعي تماما مثل منى، لهذا قام والده بتوفير شقة الزواج بكامل محتوياتها

لأنه بهذا المشروع لن يفعل لنفسه شيئا ، ولكن هناك خطا فاصلا فلابد أن يعتمد على ذاته مستقبلا ، وهذا ما قد يحدث بعد الزواج

أتى والد العريس إلى البيت ورحب زوجي به ،بالرغم من أنهم على معرفة سابقة سواء كانت معرفة مهنية أو معرفة عائلية قديمة، فلابد من رأيها

ماهو رأي منى ؟

كنت أتوقع الرفض القاطع أو المماطلة من ناحيتها ، ولكن زادت جرعة المفاجآت لدي عندما وافقت على الزواج من وائل.

ولكي نصل إلى ذروة المفاجآت كانت لديها شرط وحيد ، وهو الزواج مباشرة بلا استعداد لأي مراسم خطوبة ، بل ستحضر أغراضها وتتزوج خلال شهر

لم يترك الشيطان رأسي حرًا ، فقد داعبني بوسواس عن (سامح) واستعذت بالله من الشيطان الرجيم ، وفكرت قليلا أن يكون قد هداها الله عز وجل ،وأنها ستتزوج بأي حال ، وبعد ثلاثة أسابيع سنرى حفلا بسيطا وغير مكلفا وبالتقاطنا لعدد من الصور للحضور ، سنرى هذه التعبيرات البارزة

منى ..وجه خشبي ملوناُ بألوان الزينة وليس ملوناً بألوان السعادة ، يحتله الوجوم وعينان ثابتتان لا تتحركان.

أنا ..عينان حادتان تائهتان بين منى ووائل ومصطفي والحضور

عبد الله ..وجه هادئ سعيد عليه ابتسامة الرضا

مصطفي ..عينان تراقبان وائل ومنى من بعيد ،بلا روح ، مع ابتسامة مصطنعة

وائل ..سعيد وبشوش وعلى شفتيه ابتسامة لا يشوبها أي قلق

منير ..لم يحضر

طارا وائل ومنى إلى عش الزوجية

وخفق قلبي و مكثت في غرفتي وكأنني

أنتظر نتيجة لأمر سوف يحدث مستقبلا .. قلبي منقبض وليس لدي أي دليل على أي شئ.

***

تجمدت الدماء في عروقي و عروق زوجي بعد ما اخبرنا وائل بحقيقة الأمر وأن منى ليست عذراء، تحطم كل شيء من حولنا، شعرنا بأن المعبد هدم فوق رؤوسنا نتيجة زلزال مدمر. كنت أعلم أن هناك سر غامض خلف تلك الزيجة السريعة ، ولكنني لم أتخيل أبدا أن تصل لهذا الحد ،

لم يستغل وائل الأمر لصالحه وأخبرنا أنه لا يريد الفضيحة وستبقى زوجته لمدة شهرين آخرين ثم ينفصلا في هدوء حتى يعلم الجميع الخبيث منهم قبل الطيب أن الحياة بينهما مستحيلة

غادر وائل وترك الحيرة جالسة مكانه ،تسمر عبد الله في مكانه وتحول إلى إنسان ميت إكلينيكيا بينما قمت في فزع إلى غرفتها فقد وصلت الآن النتيجة و أسباب التغيرات التي طرأت عليها في الآونة الأخيرة.

أفرغت محتويات حقيبة السفر وأنا شاردة، فقد كنت على الاستعداد للعودة مرة أخرى ، لكن لا عودة ، كنت أبحث عن شئ أفرغ فيه عقلي من أفكار سوداء وإجابات عن الأسئلة التي أحاطت بها وكان السؤال الأول:

من ؟ من فض عذرية طفلتى ؟ طفلتين!

لا..لم تعد طفلة ..زاد شرودي وهذياني..هل اغتصبت أم بإرادتها ؟

إرادتها ؟! من فعلها ؟ بدأت الأسئلة تدور وتلف حول عقلها مثل الثعبان الذي يحكم قبضته على فريسته بلا رحمة

انشطرت عن نفسي لأجد شبحي وقف أمامي ، شبح كان بمثابة الضمير الذي خُلق من لحظات وقف شبحي مثل القاضي الناطق بالحق .

الشبح : أين كنت يا إلهام ؟ أين كان عقلك أيتها الغبية ؟ أ تتركين ابنتك في هذه المرحلة الحرجة ؟ ألم ترى جسدها الثائر ؟ ألم تخافي من ثورة شبابها ؟ ألم تعرفي أنها بلهاء ،ساذجة ،هوائية ، سطحية التفكير

حاولت الدفاع عن نفسي وقلت بصوت مبحوح :

سافرت من أجل أن أهرب من منير، أنه يحبني وأنا خشيت أن أقع فريسة في شباكه ، أنا امرأة واشتقت إلى أنوثتي وكدت أن أستسلم لرغباته ، ماذا أفعل ؟

الشبح غاضبا : أنوثتك ؟ يا لك من مراهقة مثل ابنتك ؟ أين تقوى الله ؟ أين خشيتك من الحرام ؟ أنتِ أظهرتِ ضعفك أمامه منذ البداية ؟ لو كانت لك شخصية قوية لما تمادى في الباطل ؟ وفي الأخير...هربتِ.

- لم يكن لدي سوى الهرب من ضعفي وأنوثتي ونفسي فكرت في نفسي فقط ..لم أفكر في أحد سواها ..لا..تذكرت..فقد فكرت في منى وأن ابعد عن سامح

الشبح : سامح ؟ هذا الشاب الذي كل أمنيته السفر للخارج وأنتِ تعلمين ذلك ..أنتِ فكرت في نفسك فقط أيتها البائسة .

تبخر الشبح من أمامي و أفقت من ذهولي وعاد رأس السؤال يخرج لسانه ويلهث من جديد : من الفاعل ؟ من الذي فض اعتصام منى السلمي ؟

بدأت الأسئلة تعصر رأسي في قوة

هل كانت راضيه ؟ أم مغتصبة ؟

هل كان الفاعل سامح ؟ أم شخص آخر ؟

تعلم أن الذي انفجر لن يعود إلي طبيعته مرة أخرى وأن نقطة الحبر الأزرق الذي عكر صفو اللبن الأبيض الرائق لن يعود رائقا مرة أخرى

انهارت قواي وجلست على مقعدي ألتقط ما تبقى لي من قوة ، قام شيطاني بغلق الغرفة وأسدل ستائرها وأظلمت الغرفة تماما وأضاءت شاشة العرض على الحائط المقابل لمقعدي.

رأيت منى وسامح معا في حالة انسجام غرامي ،منى تتمايل في دلال وأنوثة وكأنها عاهرة متدربة ،وسامح يغرقها بالقبلات والأحضان

أصبحا في التوائها كالجسد الواحد وهمّ سامح أن يغرق في بحر اللذة ، شهقت في رعب و مددت ذراعي في ذعر وأشرت بكفي بالتوقف وصرخت : لا..لا..لا يا منى ..كفى يا سامح حرام ..حرام ..لا ..لا ....لاااااااا

أفقت من الكابوس ، وجدت نفسي غارقة في العرق و أن الغرفة كما هي وحقيبتى لم تخرج ما في رحمها بعد

استعذت بالله من الشيطان الرجيم وأغمضت عيني في إعياء فكري وشعرت بصداع كاد يفتك بي ويشقني إلى نصفين

لم يكن هناك مخرج من هذا الشقاء إلا بالبكاء

بدأت نوبات الهذيان لعبد الله وتوالت الإغماءات وتدريجيا وصلنا إلى انهيار عصبي ونفسي ..بعد طلاق منى

هاتفت مصطفى وذهب إلى د.رياض

(مشهد سابق)

" أنجدنا يا د/ رياض ، نريد منك جهاز قياس الضغط وجهاز فحص السكر لإعادة القياس والفحص ل عبد الله "

***

(إن غياب الأم لا يتيح للمرء دائما أن يكوّن شخصيته في ظروف مناسبة)

***

<u>بعد عدة أشهر من طلاق منى</u>

تخليت عن الكثير من حدتي وانفعالي ، وأظهرت جزء من أمومتي الذي كان متواريا خلف هذا الستار الفولاذي ، لابد من التنازل لمعرفة ما هو سر منى؟
طرقت باب غرفتها استأذن في الدخول، إنها عادة جديدة اكتسبتها وهي أن تطرق الباب ! بدلا من الاقتحام المفاجئ التي تعودت عليه في الماضي، وجدتها جالسة على سريرها ووضعت ساقيها إمام صدرها وما إن رأتني تمددت وأحكمت على نفسها الغطاء وكأنها تشير انه لا داعي لأي نقاش.
جلست وبكل هدوء سألت:
حبيبتي ..هل أنتِ على استعداد لهذا الزواج الغامض؟
وكأن منى ابتلعت لسانها ..ظلت صامته
تنهدت في يئس وقلت:
حبيبتي..أنا إلى الآن لم أسألك عن الذي حدث لك أثناء سفري ، سأعتبره ماضي ومات والأموات لا يعودون ،وأنك تزوجتِ زواجا شرعيا وتم الطلاق بشكل شرعي أيضا ، فلا داعي للنبش في الماضي ،وما أريد معرفته هل أنتِ على استعداد لهذا الزواج؟

أومأت منى رأسها بالموافقة ،وكأنها تريد أن تتخلص من إلحاحي ..فهذا الزواج يمنحها حرية الانطلاق من جديد..لا يهم من هو؟ كلهم مثل بعضهم طالما لا يوجد حب.

الصمت خيّم على المكان واخترقت قائلة :

صحيح أن هذا الزواج سيرد كرامتك أمام الناس، ولكن قلبي يُحدثني أن هناك أمراً خفياً ، فهذا الغريب، لا نعلم من أي أرض خرج ولم يهتم بزواجك من قبل ولا طلاقك وكأنه مدفوع إلينا دفعا..لقد أعطينا فرصة لأنفسنا بالتفكير على مهل وتأن، إنه هو الآخر حديث الطلاق من زوجته السابقة ولكننا لم نقحم أنفسنا في تفاصيلها..مهما كان..فتلك هي حياته الخاصة .

أسرار الكتب

يقال بأن الزمن كفيل بمداواة كـافة الجراح، و لكن هناك شرط بسيط: ألاّ تـُنبش تلك الجراح. منذر القباني

منى

الاسم : منى عبدالله غانم

العمر: 18 عاما

المهنة: حاصلة على دبلوم تجارة . لا أعمل .

سؤال : ماذا تعرفين عن منير وزوجته؟

منى

لم أكن في حالة حزن على فراق والدتي فأنا لي عالمي الخاص ، أنا أعيش في عالم سامح ..حبيبي ، أنا متأكدة بعد أن يفرغ من كليته ويتخرج سوف يتزوجني مباشرة ، فهو طالب بالفرقة الثالثة لكلية الهندسة، و أن العام القادم هو عام الحسم ،عام زواجي من سامح ،سوف أطير مع حبيبي في فضاء الحب.

لمحت بطرف عيني الساعة المعلقة على الحائط، إنه وقت عودته من الكلية ، تجسست من خلف شباك النافذة لأراه ، أغلقت النافذة وطرت ووقفت خلف باب الشقة لأسمع صوت أقدامه على السلم ، كل خطوة منه كان يدق قلبي معها ، فتحت باب الشقة وخرجت لأصعد إلى أعلى ، رآني سامح وعقد حاجبيه وسأل: إلى أين ؟

ارتبكت وتوردت وجهي خجلا وقلت : إلى السطح

لماذا ؟

كادت تفضحني نظراتي وهي تهمس كي أراك يا حبيبي

لكنه بادر بالحديث قائلا : ما هذا العبث ؟ السطح مكشوف وملابسك لا تصلح أن تصعدي بها لأعلى، هيا..إلى بيتك.

بالرغم من سعادتي الغامرة إلا أنني اصطنعت الغضب وقلت:

السطح غير مكشوف وأن البيت هو أطول بيت في المنطقة وملابسي ليست فاضحة ..سلام

نزلت سريعا وأنا أتظاهر بالبكاء.

***

تتساقط أوراق التقويم لتمر الأيام دون أن أشعر ،وقد مر عاما كاملا على سفر والدتي وطائرة العودة في طريقها للهبوط على أرض الوطن ،حصلت على دبلوم فني تجاري وآثرت عدم استكمال تعلمي ، فليس لدي أي طموح علمي ،وتخرّج سامح من كلية الهندسة .

جلس سامح قبل وقت الغروب كعادته على سطح المنزل ، يفكر في مستقبله القادم ، وهاهو يتنفس الصعداء بعد أن انتهى من كليته ،الجو الصيفي له أثر محبب إلى نفسه مما جعله يغمض عينيه في سكون وأطلق كل طموحاته خارج البلاد ، إنه يرى نفسه مثل لؤلؤة ثمينة لم تُكتشف بعد ولم يتم إخراجها من المحارة القابعة في قاع المحيط ،اعتدل في جلسته بعد أن سمع همهمة آتيه من عند باب السطح ،ظن أن

تكون زوجة عمه أو والدته و قد أبدى دهشته عندما رآني فقد كنت أراقبه من بعيد.
تعمدت أن أكون في كامل لياقتي الأنثوية ، كانت نظراتي تشع نهم تجاه سامح الذي أشاح بوجهه الناحية الأخرى رافضا لقاء العيون .
بابتسامة حلوة مشرقة على وجهي قلت بدلال :
مبارك التفوق أيها العبقري.
حاول أن يمنع نفسه من النظر إلي ولكنني اتجهت ناحيته واستدرت وبكل جرأة وقفت أمامه فارتبك من أنوثتي و فوح عطري الذي يأسر القلوب ومن عيني التي كادت تلتهمه باسم الحب أو شهوة الحب .
سامح : مبارك عليك ولو أن التهنئة جاءت متأخرة.
ابتسمت وقلت : لا عليك . أنت المهم أنا لست مهتمة بالتعليم من الأساس.
سامح : أليس لديك أي طموح يا منى ؟
خجلت وتوردت وقلت : الزواج هو طموحي.

سامح :
ولكن الزواج ليس طموحا يا منى ،إنها سُنة الحياة ، مجرد محطة نقف عندها لنحصل على من يشاركنا باقي الرحلة.
لم أفهم ما قاله وتساءلت : ماذا تعني ؟
قال سامح بكل جديه : أعني أنني مثلا طموحي هو السفر إلى الخارج وقد تكون هجرة دائمة وهناك أكمل دراستي والحصول على درجة الدكتوراه في مجالي ،طموحي أن أكون نجما لامعا في عالم الابتكارات .
لاحظت أنني لست ضمن طموحاته ولا أحلامه، مما شحب وجهي بشكل مفاجئ وشعرت بتيبس أطرافي وهروب مفاجئ للدم وكأنني خرجت من ثلاجة الأموات ، ارتعشت وأزحت الدلال والرقة جانبا وسألت بخفوت واضح:
وأنا ؟ أين أنا ؟
لكنه استطرد كلامه وأكمل : وسوف أعود من هجرتي الطويلة سأجدك أُماً رائعة وتُرزقي بأطفال في مثل شقاوتك .
كان الليل قد حلّ وخيّم على المكان وأضاف الصمت والسكون بينهما شيء من الرهبة ، ليلة بلا قمر ،انطفأ الضياء الذي كان ينبعث من وجهى، فأصبح المكان أكثر ظلاماً ، غادر سامح بعد أن أدرك أن رسالته قد وصلت وتم تسليمها بنجاح
تركني غارقة في بحر من الأوهام، تائهة في سراب الصحراء ، لقد ألبسني الليل لباساً كالح السواد، لقد توقف الزمن في هذه الليلة .
شعرت بالبرودة رغم اعتدال الجو ، انهدمت على الأرض وأسندت ظهري على الحائط ، الحائط الوحيد الذي تحملني ، وضعت كفي على ذراعي ولملمت ساقي أمام صدري

ودفنت رأسي في الفراغ الذي بين تشابك ذراعي وصدري ، كنت أتحول إلى جنين يريد العودة إلى رحم أمه .. لم أبك ..لقد تبلدت بشكل مفاجئ ، أدركت أنني عشت لسنوات بعيدة في وهم ..وهم اسمه الحب من طرف واحد ، التي كنت يوما استنكره ..لقد وقعت فريسة هذا الوهم .

سمعت عدة طرقات صاعدة إلى السطح ، للحظات خيالي المريض أوهمني أن سامح قد عاد ليعتذر ..لم أر شيئا .. لقد تحجرت الدموع في عيني ، وفجأة سكتت الطرقات ..أهذه كانت أصوات أقدامه أم صدى أوهامي ؟ لقد صعدت طاووسا جميلة زاهية مبهجة وهبطت غراباً أسوداً له صوت كئيب .

***

الزواج من وائل

داخل غرفة النوم ، وقفت كتمثال روماني له حدقات ثابتة النظر للأمام (مثل المشهد السابق لها عند السطح بعد مغادرة سامح لها)

لم أكن مثل أي عروس ، العروس التي تعتريها القلق أثناء خلع فستان الفرح وتلقيها جانبا ،العروس التي تتورد وجنتاها خجلا من اقتراب العريس لها ،العروس التي تنتفض من ليلة الدخلة.

كنت جامدة أترقب أمراً ، وائل كان مرتبكا لهذه الليلة ، حاول أن يقترب مني ولكنني انتفضت كمن مسته شحنة كهربائية ووقفت بجوار خزانة الملابس كتمثال يوناني بلا حدقات وتذكرت نصيحة عمها الذي همس بأذن وائل بكلمات خافتة ولكنني سمعتها:

إن لم تكن هذه الليلة هي ليلة البناء فلتكن غدا أو بعد غد، لا تنسى أنكما لم تفهما بعض بعد ، و فترة الخطبة كانت بسيطة جدا وقد يكون الخجل والحياء حائل بينكما لا تتعجل

اغتم وائل قليلا ثم قال : لا بأس ..لتناول عشانا أولا ..فأنا جائع

كانت هي المرة الأولى التي يسمع فيها صوتي المبحوح عندما قلت:

الصلاة أولا

استبشر وائل خيرا لهذه البداية الطيبة وخرج من الغرفة إلى الحمام ليغتسل ويتوضأ

أما أنا وأثناء خروجها من الغرفة اصطدمت برؤية نفسي في المرآة التي احتلت ركنا من الغرفة ،لم تر نفسها أبدا كعروس ، بل رأت شبح نفسها ، عيون غائرة وخطوط خضراء وزرقاء على وجهها وشعر منفوش ، كادت أن تنفجر العيون ولكن تصلبت في اللحظة الأخيرة .

بعد أن انتهى وائل من إعداد نفسه ك عريس وعاد إلى الغرفة وجدني متصلبة أمام المرآة وما إن رأيته حتى استعدت وعي وغادرت للحمام

أوقفني وقال لي : حبيبتي ..ليس المهم أن تكون هذه الليلة هي ليلة البناء ، لنجعلها غدا فأنت مجهدة من التحضير للعرس وسأرفع عنك الحرج هذه الليلة ..هيا إلى الحمام ثم الصلاة ثم تناول أول وجبة لنا في بيتنا.

ارتحت نسبيا لهذا الكلام العاقل والذي يحسد عليه ، كيف يترك تلك الكعكة الشهية بدون تذوقها ؟، دون أن أنبس ببنت شفه ذهبت إلى الحمام ، وقفت أمام مرآة الحمام وخلعت ملابسي ورأيت جسدي لأول مرة في مرآة غير مرآتي التي تعودت عليها في بيت أبي وقالت في همس : " هنيئا لوائل بهذا الجسد ، وعذرا سامح ..فأنت الخاسر

اشحت بيدي الوجه الذي ظهر أمامي على المرآة ..فقد كان وجه سامح

قمت بالاغتسال وتوضأت وغادرت الحمام لأصلي منفردة في هدوء وسط دهشة زوجي لهذا التصرف.

قمت لتناول وجبة العشاء دون التفوه بأي كلمة ثم قمت وغسلت يدي وفمي وذهبت مباشرة إلى غرفة النوم وتمددت فوق السرير على شقي الأيسر ،لم أسع إلى النوم ، كنت قلقة أفكر في رد فعل وائل لما فعلته منذ قليل.

كان في هذه اللحظة وائل يقف بالشرفة وقد أشعل لفافة تبغ، يتأمل هذه الليلة الغير مقمرة ، كاد أن يبتلع لفافة التبغ بدخانها من شدة الحنق والغيظ ،فقد تبخرت أحلام أول ليلة من ليالي العمر مثل هذا الدخان الذي يخرج من أعماق رئتيه بعبث ولامبالاة ،ألقى ببقايا أحلامه مع بقايا لفافة التبغ في الشارع ودخل لينام بجواري ، كنت أسمع أنفاسه عندما رأى جسدي المثير ولكنني كنت ميتة بلا حياة .

تمدد شقه الأيمن فوق السرير ،كلانا مستيقظين ..عيون تترقب ثم غلبني النعاس ..ونمت

وغلبه الحنق ....ونام

حضروا أهالينا ثان يوم ورجت الزغاريد أركان البيت وعندما انفردت النسوة بي تساءلوا في خبث ودهاء عن أول ليلة ولم أجب مصطنعة الحياء والخجل.

الوحيدة التي كانت تشك في أمري هي أمي ولكنها مازالت صابرة على النتائج ولن تقفز فوق الأحداث.

ومن الناحية الأخرى ،كان وائل يتوجس خيفة من عمي والذي أجاب بصدق أنه لم يقترب مني ...مما جعل ملامح عمي مصطفى ترتخي في حزن .

رأيت شرود وائل عن سر اهتمام عمي مصطفى

أهو خجل الأب ؟

أم أنه نائبا عنه ؟

لقد كان مشتتا ولم يعرف كيف يفكر ولكنه لن يجعل للهموم والأفكار الثقيلة تسير إليه ، لابد أن يثبت شخصيته خاصة بعد مرور اسبوع كنت فيها كالكابوس ، تلك الليلة لابد أن تكون حلما جميلا ، ولم يعرف أن هذه الليلة ستظهر أسرار غائبة عنه قد يتحول الحلم إلى ليلة في جهنم.

***

<u>وائل</u>

أعرف منى منذ زمن بعيد ، كنت أراقبها عن بعد ، لم أقترب من حصونها إلا بشكل رسمي ، كانت بالنسبة لي العذراء البتول التي لم يقترب من حصونها أحد ، لم يخبرني أي شاب عن علاقة عابرة معها ، حريصة كل الحرص على الكلمات التي تخرج من فاها ، ازداد حبي لها عندما رأيتها بالنقاب ، البتول تزيد من حصونها ، فاتحت والدي في الارتباط بها ، غير مصدقا أنه رحب بالفكرة ، وزادت فرحتي عندما بشرني بالموافقة ، وزادت سعادتي عندما كان الفرح اسلامي بلا صخب ولا ضجة شيطانية ، قلبي كاد أن يقف عندما رأيتها في بيتي ، ولي وحدي ، ولكنها كانت متخشبة ، جامدة ، ظننت أنه الخجل من ليلة الدخلة ، غضبت قليلا عندما مرت أول ليلة في الظلام ، أمعقول أن تكون بجانبي تلك القطة الشهية وعلى بعد سنتيمترات ولا أقترب منها ؟ تذكرت جملة عمها وأخبرتها بوصيته ولكن مر أسبوعا كاملا بدون تحسن ، كان الأسبوع بمثابة سبعة أشهر مروا على وأنا حبيس بيت الزوجية ،لم يتبدل الحال والأيام كانت ثقيلة على الروح والنفس والعقل ، ليالي بلا قمر في سماء منى و أيام بلا شمس في سمائي ،لم ينقذني أي برنامج من رفاهية التلفاز بل على العكس فقد زادتني حنقا وغضبا

منى تحولت إلى إنسان آلي ، كأنها مبرمجة على جدول يومي من إعداد الفطور للجلوس أمام التلفاز ثم تحضير وجبة الغداء ثم التلفاز ثم وجبة العشاء ثم النوم ..كل شئ يصدر منه أصوات ..إلا هي كانت يصدر منها الصمت

ثم قررت حسم الأمر ، بعد تناول وجبة العشاء وبعد أن دلفت إلى غرفة النوم ..أشعلت الضوء الخافت من الاباجورة المجاورة .

قلت في حنان ودفء : حبيبتي أما زلت خائفة منّي ؟ لقد مر أسبوع ولم تصبحي عروس بعد، ما الأمر؟

وضعت كفي على كتفها لكنها انتفضت وقامت سريعا من فوق السرير ..تلهث ، كاد أن يشق دقات قلبها الصمت المحيط بالغرفة ويصبح ضوضاء صاخبة ، كان صدرها يعلو ويهبط في عدم انتظام وكأنها خارجة من سباق الماراثون

انتزعت قناع الإنسان الهادئ المتزن ليظهر وجه آخر غاضبا مكفهرا وسألت في حدة : ما الأمر ؟ لما تبتعدي عنّي ، لماذا تريدين أن يعبث الشيطان بعقلي ؟ أجيبي

اتسعت عيناها بشكل مفاجئ في ارتباك وشحب وجهها فجأة وكأن دمائها هربت من جسدها خوفا من بطشي

ظننت لوهلة أن ما يحدث نتيجة أعمال السحر الذي سمع بها، وقد تكون " مربوطة " بعمل ما حيث لا يقترب الزوج منها أو العكس فقد سمع بذلك كثيرا ، لقد أصبحنا نهرب من أسباب الواقع إلى أوهام وخيال وتعاويذ حتى ترتاح عقولنا من التفكير خاصة أن زواجنا تم بشكل مباغت وسريع .

كنت قبل ساعة قد ابتلعت أحد أقراص الشجاعة الزوجية التي تزيد من الفحولة مما جعلتني في كامل رغبتي الجنسيوة، واستحوذ شبقه عليها.

جذبت منى من وقفتها الشمعية التي تعودت عليها من أول يوم زواج , وألقيتها أمامي على السرير ومزقت ملابسها المثيرة كاملة ،حتى ظهرت كمال جسدها الأنثوي الذي كان يصرخ في هدوء

لقد أصبحت الآن في متناول يده ، تأملتها للحظات وتساءلت لماذا لا ألتهم تلك الفطيرة الشهية الساخنة التي بين يدي؟ ، لم اكترث بتوسلاتها ولا دموعها ، حاولت أن تنهض من مكانها ولم تفلح تلك المحاولة ، كنت قد تحولت إلى أسد هائج ، صرت أقوى و أعنف وأشد فتراخت أعصابها وخارت قواها واستسلمت رغما عنها

وبعد أن هدأت ثورتي الصاخبة ، عدت إلى طرف السرير و نظرت إليها في جزع وألم وحسرة

فقد كنت مثل السائر في الصحراء ورأى بئرا وتمنى وجود ماء ليلقي فيها دلوه ؛ ليروي ظمأه من عذوبة مائه، فوجد البئر بدون غطاء وألقى بالدلو في عمق البئر ليسمع صدى صوت وقوعه

فلم يكن هناك ماء يستسقى منه..فقد كان فارغا

علمت أن البئر ليس سرابا ،بل حقيقة مؤلمة

وتيقنت أن هناك من اكتشف البئر قبله

وسُقي من ماءه

و تركه فارغا مهملا لغيره

فقط ليزداد عطشا وألما.

***

<u>بعد الطلاق من وائل</u>

قامت أمي من أمامي وهي مكسورة الخاطر، لأول مرة أراها في هذا الضعف ، وقبل أن تغادر الغرفة، انحنت وقبلتني ودموعها أخبرتها بخطئها حينما سافرت

انفجرت العبرات من أعماقها

الآن فقط علمتِ أنك كنت مخطئة

الآن قلبك يحدثك

الآن تخبرني بأن أتأنى

نتعلم ونتأمل و نتأنى بعد فوات الأوان

ما الفائدة؟

أمي تسألها عن الذي حدث؟

أنا ذاتي لا أعلم ما الذي حدث

لقد تعمدت الفقدان ذاكرة

كانت ليلة سوداء حالكة

ظلمات بعضها فوق بعض

ليلة بلا قمر

ليلة أخطأت فيها الحسابات والتوقعات مثل أمي تماما

الكل أخطأ

والكل يدفع ثمن هذه الأخطاء

لا يدفعونها أموالاً

إنما يدفعونها من احتراق أعصابهم ومن إشاعات تحوم حول سمعتهم وشرفهم

حاولت تذكر تلك الليلة المشئومة،

ولكنني أطفأت شاشة العرض..فقد كانت تعرض فيلما مظلما..أرخيت أهدابي وغطت في سُبات عميق.

***

تغيّر مناخي من اكتئاب الخريف تلاها برودة الشتاء وحاولت أن أزدهر في الربيع إلا أن استقبلت الصيف بحرارته وسخونته استقبالا خاصا، فقد أطلقت لنفسي العنان..طلاقي الثاني كان دافعا للانطلاق ، اندفعت بكل أنوثة صارخة ، ملابس ضيقة ،مساحيق التجميل بتطرف ، ترك الشعر كالشلال ينسدل على كتفي، ولم أنس ثورة أنوثتي المتفجرة المتمركز في ميدان نهداي

لم أعد أهتم بألسنة الأفاعي التي تطلق فحيحها من حولي بل تروقني عيونهم الهائمة سواء كان سخطا أم رضا..المهم أن ألفت الانتباه ، ألقيت بفكرة العودة إلى الدراسة في غياهب الزمن وتم الاستعاضة بالانضمام إلى النادي..النادي من وجهة نظري مثل المعهد..اختلاط بين الجنسين وضحك ومرح وأوقات لطيفة مع الفارق أنني من أجذب عيون الآخرين وأنا من ألقي محاضراتي الخاصة.. أنا أستاذ الجامعة وواضعه الاختبارات وعليا الاختيار من بين هؤلاء الجمع مذكر سالم كي يصبح معيدا في جامعتي،

كنت في حالة تطرف جنوني ،لم يستطع أحد أن يوقفني وإلا سوف أقوم بدهسه تحت عجلاتي

الذي كان يراقبني عن بعد هو عمي مصطفى..فهو على يقين أنني اشتركت في فرقة مسرحية جديدة وأؤدي دورا غير دوري الطبيعي ويجب أن أنتهي من العرض وأسدل الستار كي أعود لشخصيتي الطبيعية .

رآني منير كالمدينة الصاخبة المثيرة ليلا ، النائمة الغافلة نهارا

ورأتني إلهام أنني ضد الطبيعة الكونية ، فقد فلت زمام الأمور ولم أعد منى المراهقة كي تخشى عليها من النيازك النارية التي تريد اختراق الغلاف الجوي المحيط بمنى الغبية الساذجة السطحية ، بل أنا سيدة وامرأة كاملة و مسئولة عن أفعالها..نضجت بشكل مفاجئ

فالأب هارب والأم خرساء والمجتمع المحيط غارقا في الغيبة والنميمة

إذن لأ توحش ..ما المانع؟

***

سمعت كثيرا عن د. رياض ، تردد اسمه كثيرا في الآون الأخيرة في البيت والشارع ، ولكنني لم أقابله قط م ،فكرت أن أضيفه إلى قائمة العشاق ..عشاق الليل هؤلاء الشياطين الذين تعرفت عليهم من التسكع بالنوادي..ظنوا أنني سهلة المنال وفي نفس الوقت كنت سعيدة بهذا التهافت

ارتديت عباءتي السوداء الواسعة وعلى رأسها طرحة سوداء تلصصت منه بعض الشعيرات تضيف جاذبية فوق الأصباغ التي صبغت بها ملامحي باحتراف ،مع قليل من الإثارة من أحمر الشفاه وكحل العينين وبخطى أنثوية ملتوية دخلت الصيدلية.

تكهرب د.رياض وصعق لهذا الجمال الذي اقتحم خلوته ،كدت أن ابتلعه بنظراتي و تفرست في ملامحه ، فهو وسيم وأنيق الملبس ومن وقفته لديه ثقة بالنفس.

ألقيت عليه السلام وسألت عن " بودرة مائية

احضرها لي وقبل أن يقول سعر هذا المستحضر

باغتته : ألا تعرفني؟

ارتبك رياض وتلعثم وحاول أن يتذكر هذا الوجه ولكن كلمة (لا) غرقت في حيرته ولم يقو على إنقاذها.

أنقذته من غرقه وقلت: أنا منى

رفعا حاجبيه في دهشة وأحمر وجهه خجلا..ها أنا ذا أمامه التي طالما سمع بي في الآونة الأخيرة

أهلا وسهلا...رحب رياض ثم أكمل:

عفوا..إنها المرة الأولى التي أراك فيها

ابتسمت في إغراء وبعيون لامعه قلت: وأنا أيضا .إنها فرصه أن أشكرك على تعبك مع والدي..مسكين...لقد دقت الصدمات فوق رأسه بدون رحمه جعلته طريح الفراش لفترة والحمد لله هو الآن بخير .

تعمدت أن تلامس نعومة أناملي راحة يد رياض وكأنني ألقي بطُعم اختبار أملا في اصطياده فيما بعد

سحب رياض يده سريعا وسحبت نفسي من الصيدلية وبدون أن ألقي أي كلمة غادرت وكأنني أقول..إلى اللقاء وليس وداعا.

عدت إلى البيت سائرة في الشارع كالطاووس أتحدث إلى نفسي :

(ما هذا الاحتراف يا منى..رياض وقع في محارتي..إنه اللؤلؤ الذي سوف يتم اكتشافه)

كنت في نشوة عالية ..تفكر في الخطوة القادمة.

***

<u>أكمل رياض حكايته مع منى</u>

تجمعت السحب في السماء في قلق وتوتر وهبت عاصفة صفراء تلون المدينة ..إنه غضب الطبيعة والذي وافق غضبي وقمت باتصال هاتفي مع مصطفى وطلبت منه أن يقابلني في عجالة فالأمر لا يتحمل التأخير

تقابلنا في النادي بعيدا عن أعين وآذان الناس ،مصطفى كان مرتبكا لهذه الدعوة المفاجئة إلا أنني أردت أن أضع النقط على الحروف كي يفهم.

مصطفي: ما الأمر د /رياض ؟

أعتذر لك عن هذه المقابلة المباغتة ولكن الأمر هام وخطير أنا دخلت بيتكم وكنت أمينا على أسراركم ومن هذا المنطلق أردت أن أكشف لك على عدة أوراق خاصة..بمنى

كان اسمها هو كلمة المرور ليفتح عقل وقلب مصطفى

أكملت:

أريدك أن تعلم جيدا أن منير يتاجر في الأدوية المخدرة وأنه مراقب من مباحث مكافحة المخدرات وأن منى مشتركة معه

ذعر مصطفي من خطورة هذا الكلام وكأنه ابتلع لسانه ولم ينطق.

-منى أتت إلي الصيدلية في زيارة عادية منذ شهر تقريبا ،إلا أنها...

مصطفي بلهفة وصعوبة : ماذا؟

- تعمدت أن تتصل بي بعد منتصف الليل وتجاوبت معها بحكم الفضول.

مصطفي: ماذا قالت؟

******

<u>المكالمة الأولى</u>

بصوت عذب رقيق خافت :د/رياض

-نعم..من؟

--ألا زلت لا تعرفني؟

-عفوا!!

(ضحكت) - عفوا! ما هذا الرقي! لم أعتاد على الطيران لفضاء الأدب سريعا..ها ها ها

(صوت جاد) --معذرة...إن الوقت بعد منتصف الليل و....

-مشغول؟

--ليس هذا هو المبدأ..إنما ليس لدي وقت لهذه الأحاديث الهاتفية و....

-أنا منى..منى عبد الله

.....

- د/رياض ؟

-- نعم..أهلا وسهلا مدام منى

-مدام؟أنا منى فقط

(بتأفف) - وماذا تريدين ؟

(بجدية)- أرجو أن لا تتضايق مني..أعلم أنك رجل محترم ومهذب وليس لك في ألاعيب المساء والسهرة ولكنني متعبة جدا في داخلي أسرار أريد أن أبوح بها،وليس هناك عاقلا يسمعني..بداخلي شرخ حقيقي يعذبني ..لقد تمزقت وهناك مشاهد مفقودة لا يعلمها أحد عنّي .

ارتبكت من الفضول الذي اعتراني ووجدت نفسي في انسجام معها وفي نفس الوقت أريد معرفة الأسرار التي سوف تجيب على أسئلتي

--وما هي؟

-لا..لن أبوح بها الآن ليس هكذا من أول مكالمة ولكنني أريد أن أتغير فعلا،أنا كرهت منى الحالية. وكرهت منى الماضية...(بكاء)

-لا أفهم شيئا

-أنا في حالة هذيان ..أشعر أن منى الحالية ليس أنا وأمي تشاهد ذلك من بعيد وكأنني مسرحية هابطة عليها أن تشاهدها غصب عنها دون أي رد فعل

-ووالدك؟

-مسكين..الوحيد الذي أراه لا يستحق كل هذا العذاب ..لقد أصبح بركانا خامدا، تغلي الحمم من داخله دون أن يفصح عنها..لذلك آثر السفر والترحال بين المدن حتى لا تصطدم عيوننا ،إنه يهرب..كما هربت والدتي من قبل وكما هربت أنا بعدها..يبدو أن الهرب في جيناتنا الوراثية؟

-جيناتك الوراثية ؟غريبة!

-أعلم أنه من الغريب أن أتكلم بلغة المثقفين ولكنها كلمتان التقطها من رفقاء السوء

-إذن ماذا تريدين؟

- سأحكي لك ولكن ليس على كل شئ

- اتفقنا

- بعد صدمتي الكبرى في سامح وقعت فوق سطح البيت ،فانفجرت فيّ وحطمتني ومزقني إلى أشلاء متناثرة ..فقد كنت أعشقه.. ،هذا السطح الذي شهد ولادة براءة حبي هو نفسه كانت المقبرة التي دفنت فيها قلبي ولكنني أدركت بعدها أنه حب من

طرف واحد ومن المستحيل أن يكون هو الطرف الآخر..غبت عن الوعي ولم أفق إلا وأنا زوجة وائل..كنت على علم أنه ذو شخصية ساذجة وسطحية و تصورت للحظات أنني أتحكم فيه..وهذا لم يحدث..وائل أثبت أنه ذو رأي وعنيد وشخصية ليست بالقوة التي تمتلكني..حدث مشاكل في بيت العائلة..وتم الطلاق..سأكتفي هذه الليلة بهذا التصريح..سلام.

****

مصطفى: هناك مشاهد مفقودة في تلك المكالمة لم تخبرك بها....أكمل

***

أسرار الكتب

المكالمة الثانية

-أعتذر منك..عفوا..كما قلت لي المرة السابقة

-أهلا منى

-لن أطيل عليك..تم الطلاق من وائل في هدوء وكان كريما وشهما وبالمقارنة بالوغد ممدوح..أقول لك إن وائل هو الإنسان الوحيد الذي ندمت على الطلاق منه

-ممدوح..وغد؟

(بحدة) - بالطبع..كنت أريد استرداد كرامتي التي بُعثرت أمام الناس والتي بعثرتها ألسن الناس التي لا تكف أبدا

-وتجملتِ بما يسمى التدين الزائف

(دفاع)-ارتديت النقاب هربا من أعين الناس..كنت أتخفى خلفه..ولا أعلم شئ في الدين..فقد كانت وسيلة اختباء

-عفوا..كان ارتدائك للنقاب قبل الزواج من وائل..أليس كذلك؟

-بلي

-مِن مَن تختفي؟

.....

-هل السؤال محرج؟

-لا..بل أستعيد ذكريات سوداء..كنت في الحقيقة أختفي من نفسي..لقد كرهت شخصية منى المدللة..الغير مسئولة..السطحية..سامح لديه حق..لم أكن جاذبة له؟

لا شئ غير جسدي وهو شاب ذو عقل وطموح وليس عابثا...

.سكوت.

فتزوجت ذاك المنبوذ..مذموم وليس ممدوح

-ماذا حدث معه؟

- ممدوح كان مأجورا للزواج منّي ..لقد كان مثل الحيوان في العلاقة الجنسية..كان يعتبرني مومس وينعتني بالعاهرة..كان ذو طبيعة شاذة ..فهو عبارة عن برميل من المخدرات والخمور والمنشطات ومع ذلك..كان ضعيفا..لذلك كان يضربني كثيرا لأنني رأيته..

. فترة سكوت.

-ماذا؟

-.....

- لا حرج

- كان يمارس العادة السرية في الحمام

-أتعني أنه....

-أبدا..ألم أخبرك أنه كان شاذا وطلبت الطلاق وأخبرت والدي بسلوكه الغير طبيعي وتم الطلاق بهدوء.

***

مصطفى: هنا أيضا مشاهد مفقودة...أكمل

***

المكالمة الثالثة

-تأخرت عليك ثلاثة أسابيع كاملة

- لا بأس

-أردت الانتقام من نفسي ومن أمي

-كيف؟

-منير

- زوج عمتك

- سابقا

- ماذا وراءه ؟

-لقد استغل ذهابي للنادي والتعرف على الكثير من الشباب وقام بتجنيد و أكون وسيط بينه وبينهم

-لماذا؟

- كي أبيع لهم الأقراص المخدرة

-.....

-تعرفت على شياطين الإنس و تتبعت خطواتهم

-وكيف وافقتِ؟

-ليس هذا هو المهم..الأهم أنه كلفني أن أشتري منك حصتك في جدول المخدرات ..وهو من أرسلني إليك..لكي أغويك بأنوثتي ولكنني رفضت داخليا.

.صمت ثقيل .

-لماذا قبلتي من الأساس..إنه ماكر وذو دهاء وكيف لن تخبري عمك على الأقل؟

-.....

- منى..ما علاقتك بمنير ؟لماذا جندكِ؟ولماذا وافقتِ؟

.صمت .

-ليس لدي وقت

.....

- أرجوك

- لأنه زوجي، لقد تزوجنا عرفيا ولا أحد يعلم.

***

مصطفى

قفزت العَبرات من عيوني لتخفف عني ما سمعته منذ قليل عن منى، كانت الدموع رحمة سُكبت على قلبي فهدأت من روعي ، استعدت توازني وبدأت أقص على رياض المشاهد المفقودة لتكتمل الرواية

المشهد الأول

قلت لرياض :

كانت ليلة حالكة السواد عندما نزل ابنى سامح من سطح البيت ،كان مرتبكا ، ولأنه لا يخفي عني شئ فقد حكى الحوار الذي تم بينه وبين منى ،دعوت له بكمال العقل والثبات على أخلاقه ومبادئه ، علمت بعد ذلك أن منير صعد إلى السطح ووجد منى في حالة يرثى لها..كانت غائبة عن الدنيا..أخذها إلى البيت..استسلمت له باعتباره زوج عمتها ولكن فعل فعلته الدنيئة بعد أن أعطاها دواء وأخبرها أنها قرص فيتامين لتستعيد نشاطها وحيويتها ولكن ما حدث أنها ذهبت في غياهب العالم الآخر.

أختي عادت إلى المنزل في ذلك الوقت لتجد ابنة أخيها..عارية..غائبة عن الوعي..كان الثور الهائج قد أفقدها عذريتها مخلفا وراءه بقع دماء كدليل إدانة

انهارت أختي وخارت قواها ولم تدر بنفسها إلا بأظافرها تمزق ظهر ذلك الوغد ويبدو أن هو الآخر لم يكن في وعيه لأنها أخبرتني بفراره هاربا بعد ما رآها

صعقت منى من منظرها وبعد استجوابها ..تذكرت آخر مشهد لها في السطح مع سامح وأنها سمعت أقداما صاعدة فظنت انه هو..جاء ليعتذر، وهمت أن ترتمي بأحضانه ولكن مع الظلام ،يستوي الأعمى والمبصر..ثم عادت لتسأل في ذهول ما الذي أتى بي إلى هنا؟

حدث لها فقدان ذاكرة مؤقت..وكأن عقلها اللاواعي رفض الاعتراف بهذه الجريمة التي ارتكبت في حقها

عرفت كل ذلك من أختي..لم تتحمل المسكينة كل هذا الغدر والخيانة وأخبرتني كيف كان يعاملها ويسبها وينهرها بل ويخونها في خياله ومع من ، مع (إلهام)، البائسة لم تطلب الطلاق بسبب عمرها الكبير وآثرت أن تعيش زوجة مع إيقاف التنفيذ على أن تحمل لقب مطلقة بعد أن عانت من لقب عانس

..قلبها المحطم ..تدهور عاطفيا ومعنويا

كان رياض يستمع غير مصدق ..رحل إلى عالم آخر..عالم الشيطان الخفي..عالم به الكثير من شخصية منير.

****

المشهد الثاني

تزوجت منى من وائل وكنت الوحيد الذي يعلم بالمصيبة ..وكما قالت لك...وائل كان أصيلا وشهما ولم يفضحها ...وألقى بكل انهياره النفسي والعصبي على عبد الله وإلهام...وأنت تعلم الباقي

***

المشهد الثالث

الذي دفع بممدوح هو منير فقد قابلت ممدوح وحكى لي كل شئ بعد حدوث الطلاق وكانت ضربة مزدوجة من الشيطان ، منها أن لا يشعر بالذنب أنه السبب في طلاقها في المرة الأولي ومنها يكون هناك مساحة للتقرب من إلهام والتودد لها..ولكن هذا لم يحدث

فأمر ممدوح بأن يطلقها لأنه عالم بشذوذه النفسي ويكون هذا السبب أمام والديها..وفي نفس الوقت..تصبح منى هي بديل منى..بعد فشل كل المحاولات..وهاهو قد نال مراده.

اكتملت المشاهد أمام رياض وفهم سر تجنيد منير لمنى وأنها وسيلة غير معروفة لجلب الأدوية المخدرة وبزواجه منها تصبح تحت طوعه وأمره وليس بعيدا أنه يستخدمها في أماكن أخرى ، فهذا الشيطان لا ييأس من الطرق على كل أبواب الشر.

وكيف نتخلص منه ؟

كان هذا سؤال رياض لصديقه المحامي عمرو وقد علم منه بكل شئ إلا أن عمرو قال:

الأمر سهل..بلاغ لمكافحة المخدرات أن منير بحوزته أدوية مخدرة وممنوعة ومروج للمخدرات بين الشباب وأنهم في الأصل تحت المراقبة وسيتم القبض عليه.

-ومنى ؟

-لا أعلم سوى الطلاق منه بأسرع وقت وإلا سيجعلها مذنبه معه وشريكته في جريمته وتُسجن هي الأخرى..ألا تزال تتصل بك؟

-لا..إنها كانت في حاجة إلى من يسمعها ويصدقها لقد فقدت الثقة بكل من حولها..إنها تريد أن تُولد من جديد من رحم خام بشخصية جديدة ولكن هذا اللعين أجهضها قبل الأوان .

ارهفت السمع لمكالمة رياض مع صديقه ، وتمنيت أن استيقظ من هذا الكابوس ، والسؤال الخفي الذي لم أجد له إجابه ولا تفسير .. لماذا لم أطرد منير بعد علمي بهذه الكوارث التي أشعلت حرائق داخليه في بيتنا الطيب ؟ لا يفيد الندم الآن.

***

أسرار الكتب

الكثير من الناس لايدركون عما يبحثون، أو يبحثون عما لا يدركون.

منذر القباني

سامح

الاسم : سامح مصطفى غانم

العمر: 25 عاما

المهنة: مهندس مدني.. يعمل بألمانيا

السؤال: ماذا تعرف عن منير وزوجته؟

أسرار الكتب

سامح

دلفت إلى غرفتي حائرا لما فعلته مع منى منذ قليل ، فأنا لا أدخر لها أي مشاعر تجاهها، إننا غريبان عن بعضنا البعض، يفصل بيننا صحاري واسعة من الاهتمامات والآمال والأهداف ، أنا أعلم طبيعة منى جيدا ،إنها فتاة عبثية وساذجة وهوائية وسطحية التفكير ، ولولا أن بها مسحة من الجمال وأنوثة ثائرة لما تدللت هذا الدلال فهي مريضة بخيالها الذي أوهمها أنني أحبها !

لا أعلم كيف وصل إليها هذه المشاعر ؟

كما أن تعليمها ليس على مستوى عال مثلى ،فهي سوف تحصل على دبلوم تجارة ، أما أنا مهندس لي طموحي الكبير، شاب وسيم في مقتبل العمر ، ملامحي تقترب من الأوروبيين قليلا ، طويل القامة ، من كثرة التفكير صرت نحيلا ، أتطلع لتغيير مستواي الاجتماعي والعائلي ، وأتمنى الهجرة إلى ألمانيا ولا أعود أبدا لذلك حصلت على عدة دورات لتعلم اللغة الألمانية ، كما أن خططي استكمال دراستي هناك حتى أحصل على درجة الدكتوراه ثم إن فتاة أحلامي ألمانية الجنسية فأنا على علاقة بهيلدا منذ فترة ، بعد أن رأيتها خلال زيارتها لمصر ، فهي صديقة لأخت صديقي ، وتم التعارف من خلال المقابلات السريعة وبعدها عرفت طموحي وشجعتني على السفر لألمانيا واتفقا على الزواج و بالقطع سأنال الجنسية الألمانية.

إن والدى يفهمني جيدا وذات يوم قال لى :

إنني أعلم أنك تريد أن تتغير للأفضل ولكن احذر أن تنسى أهلك وأصلك مهما حدث.

لم أكترث كثيرا بما يسمي (الوطنية) ، خصوصا بعد الأحداث السياسية العنيفة التي حدثت في السنوات الأخيرة ، فأنا مؤمن بأن وطني هو عقلي وأرضى هو علمي وحياتي هي طموحي وهذا ما قرأه الداهية منير .

منذ أيام قليلة وجدني سائرا أمام المقهى الذي اعتاد أن يرتادها منير وقام بالنداء وطلب منى أن أشاركه تناول القهوة معه .

منير: كيف حالك أيها المهندس العبقري

-أتم حال يا عمي

=حافظ على طموحك وبعد التخرج اسع بكل قوتك أن تسافر إلى الخارج ،مستقبلك هناك ولا تفكر بالعودة ،إنها بلاد طاردة للعلم وللعلماء ،اذهب إلى أي دولة تقدر ما بك من مواهب ثمينة ، هنا استنزاف لعقول وطاقات الشباب ، الشاب يبحث عن العمل بعد التخرج ويا ليته يجد عملا مناسبا ليدر عليه دخلاً مادياَ محترماَ ليعيش حياة كريمة إلا أنه يضطر لأن يعمل أي شئ حتى يقتات قوت يومه ثم يبحث عن الزوجة المناسبة ثم يكمل أضلاع المثلث بالبحث عن شقة مناسبة ،ثم يصاب بالاكتئاب والقلق النفسي ويبدأ يبحث عن أوهام وسراب ، وبعضهم يهرب بالمخدرات للبحث عن ذاته ،إن الشباب في حالة نزيف حاد من الانتماء للوطن ،ويهربون حاملين طموحهم كأنها أوزار وآثام ، ليعيشوا رحلة كفاح أخرى بعد الإصابة بالخلل في الاتزان الروحي .

- غريب أمرك يا عمي إنني أسمع هذا الكلام مرارا وتكرارا وكأن لا أمل في التغيير للأفضل .

=أي تغيير !! وهل هذا المجتمع قابل للتغيير إلا للأسوأ ! لا تفكر في الأمر ..فكر في نفسك فقط .

أفقت من شرودي ولاح لى شبح منى الماثل أمام وراء قضبان خيالها وقلت:

عذرا منى .. لستِ ضمن خططي ولا أولوياتي ولا أهدافي ولن تكوني .. العالم يتغير وأنت كما أنت، تستمعين للمهرجانات الشعبية من مسجل صغير رغم وجود الجوالات والتطبيقات الذكية .. أنتِ خائفة من التغيير أما أنا لو اعتصمت بالخوف من المجهول لبقيت واقفا في مكاني طوال حياتي دون تغيير حتى تجيف جثتي وأموت .

***

الاسم: محمود حافظ

المهنة: وكيل نيابة

بعد يوم جويل جدا انتهيت من استجواب الشهود ، الكل قص قصته مع منير دون أن يشير إلى أن هناك جريمة على الإطلاق، نمسك الخيط من أوله، منير أخذ زوجته وذهب بها إلى أحد الفنادق لقضاء بعض الوقت معها على حسب أقوال مصطفى، وتبعا لكلامه أنهما كانا على خلاف وأراد التصالح معها وفي نفس الوقت الاحتفال بذكرى زواجهما، فجأة، اختفى منير وترك زوجته وقد توفيت في الفندق، بسبب خلافات قديمة بينهما اتهم مصطفى منير بقتلها، انتقلت الجثة للطبيب الشرعي أثناء الاستجواب، وبعد التحقيق لم نصل لتأكيد الجريمة، والطب الشرعي أرسل لنا تقريرا كان مفاجأة للجميع، ولكن أين أختفى منير وماهي قصته؟

***

كثير من الناس لا ينتبهون إلى التفاصيل الصغيرة ، مع أن السر يكمن في تلك التفاصيل ، ولذلك تستطيع تقسيم البشر إلى فئتين ، قليلة تنظر فترى ، وأخرى كثيرة تنظر فلا ترى شيئاً غير ما أريدَ لها أن تراه ، ولكن في نهاية المطاف ، هكذا هي الحياة ، لا تستقيم من غير قلة خاصة وكثرة عامّة.

منذر القباني

منير

فشلت محاولتي مع إلهام ..صعدت إلى الجنة ولم أر غيرها ، تمنعت وهي راغبة ، حاولت أن أضمها بقلبي أولا ثم بجوارحي ولكنها ألقت بي في غياهب الجب ، لم تسمع ما قلت لها عندما حاولت إيضاح مشاعري :

لماذا تريدين الهرب منّي ؟ أنتِ لا تفهمين حقيقة مشاعري ، لقد انتقلت إلى هنا لأجلك ، أنا أحبك..زواجي من هذه البلهاء باطلا أنتِ واحتي الحلوة ..أنتِ..

انتبهت أنني وحيدا بالسطح وخفت من شدة صياحي أن يسمعني الجيران.

لم يتعذب عبد الله زوج إلى. لهام مثلما تعذبت ، فقد تغيرت للأسوأ وأصبحت شديد الكراهية لزوجتي التي لم تقترف أي ذنب ، فقد تزوجتها منذ عشر سنوات فقط ، كنت عازفا عن الزواج لسنوات طويلة ، ولكن عندما رأيت إلهام في المستشفى عاودتني ذكريات أليمة ذكريات عتيقة كنت قد احتفظت بها لنفسي ولا أحد يعرف بها ، إلهام كانت تشبه زوجتي الأولى وحبيبتي الأخيرة.

كانت تُدعى (منال) ولم أستطع أن أنساها ،وكيف أنسى نفسي ؟

قدرا رأيت من تشبها ، وعلمت بعد عدة تحريات أنها متزوجة ولديها ابنة وحيدة ، فكرت في الاقتراب منها ، لكن لم أفلح ،وبعد أن جمعت المعلومات عنها ، علمت أن أخت زوجها " عانس " وفاتها ربيع العمر وقطار الزواج ،فكانت طريقة غير مباشرة للاقتراب من إلهام ،تزوجتها وبعدها افتعلت المشاكل في البيت الذي كنت مستأجرة ؛ حتى أضغط على زوجتي وننتقل للحياة إلى الدور الثالث في بيت العائلة برضا كامل من عبد الله وعدم راحة من مصطفي ، ولكن لأن أختهما وحيدة وكبيرة في العمر وحتى لا يكسروا بخاطرها وافق مصطفى على السكن معهم ونجحت الخطة الشيطانية .
لم تقف هذه الخطط عند هذا الحد ، فقد تتبعت خطوات الشيطان في معرفة الأدوية الممنوعة والمخدرة ، بدأت أتعاطى أشربة السعال وبعض الأدوية المخدرة ؛كي أهرب من حياتي الرتيبة والمملة وأهرب من زوجتي التي كانت أصفها بالبلهاء دائما مع إنها مسكينة وأسيرة مجتمع لا يرحم ،ثم انتقلت تدريجيا إلى الأقراص المهدئة حتى وصل بى الحال لأقراص الهلوسة ، كنت أتناول عدد كبير منها انتقل إلى العالم الذي أريده وأحدده ، وهذا ما أكده له شياطين الإنس وخرجت من الجنة بعدما اقترب من هذا الأدوية المحرمة.

***

لدي غرفة سرية في شقتى ،جدرانها مطلي باللون الأحمر الداكن وبها سرير ودولاب وخزانة ملابس وأوراق وصور محتفظ بها في خزنة حديدية ذات أرقام سرية ،أغلق على نفسي عندما أتناول هذه الأقراص المخدرة، زاغ بصري ، وعرق جبيني ، ودارت الأرض من حولي و فقدت اتزاني وتحولت الإضاءة إلى ألوان وردية ..أحسست بالاختناق ؛ ففتحت نافذة الغرفة وأثارت الرياح الصيفية رغبته المكنونة، فتحت باب الغرفة لأجدها أمامي، تبتسم ابتسامة واسعة..عادت إلهام ..لم أصدق عيناي ، أنثى مثيرة في قميص نوم أحمر حريري مما أشعل غريزتي وانفجر الهرمون الذكري وعدت شاب في كامل عنفوانه وفحولته ، أخذتها بين أحضاني ، كانت مستسلمة ,وأصبحت كالسكين الساخن وأنا أشطر قطعة الزبد إلى نصفين ،بلغت من ذروة النشوة معها وهدأت ثورتي بعد أن تسربت منى ماء الحياة ونمت في سبات عميق وأفقت لأجد نفسي مازالت حبيسا في غرفتي وحمدت الله أن زوجتي لم تكن موجودة في تلك الليلة.

***

أفقت على عويل زوجتي، فقد علمت بما أخفيه في أعماق قلبي ، وأن هذا الاغتصاب الذي حدث لها ليلة أمس كانت عمل مشين جرح كرامتها كأنثى و قتلها كزوجة .. فقد تناولت جرعة من الأقراص المخدرة واستقبلتني الهلوسة ولكن هذه المرة لم يكن خيالا يداعبني بل ظننت أن زوجتي أنها إلهام و بدون وعي أدركت المسكينة أنني أحب إلهام ..زوجة أخيها.. لقد رأتني أنني خائن في أفكاري وخيالي، لقد هُتك سترى وهُتكت كبريائها وكرامتها .
كان انسياب عبراتها الغزيرة تحرقني داخليا وخارجيا ونظراتها النارية كانت تزيد من الاحتراق بين ثنايا جلدي ، كان لابد أن أهرب من نفسي ومن زوجتى ومن العالم .
أدرك أنني لم أعد إنسانا ، فقد خنت زوجتي وخنت عبد الله وخنت مصطفى وتحولت إلى شيطان له مريديه.
فقد أشرقت شمسي من مغربها لم يعد هناك وقت للتوبة ولن تقبل منه زوجته التوبة .
قمت إلى غرفتي السرية المخضبة بالدماء والتي أصبحت مطبخ لشيطاني ومستودع أسراري ومركزا لخططي.
لقد تحولت إلى كائن مسلوب المشاعر والإرادة والأحاسيس

لقد كرهت ذاتي.
صارت ليال بلا قمر
ليال مظلمة .

وفي هذا الظلام الدامس
خرجت إشعاعات خبيثة من عيناي
لقد أقسمت على أن لن يعود
أشعلت الشموع وتتحرك لهيبه المرتجف فيرسم على الحيطان ظلالاً تبدو كالأشباح الخرافية ،جلست وابتسمت في دهاء ومكر .
أحضرت لوحة ورقية كبيرة ثم كتبت عليها أسماء كثيرة بشكل عشوائي ووضعت كل اسم داخل دائرة ثم أخرجت من تحت كل اسم خطوط متعرجة وعند طرف كل خط ، خط مرقمة .
أخذت قرص بروزاك من كيس الأدوية التي بحوزتي وابتلعته مع جرعة خمر، اتعاطاها بين الحين والآخر حينما أشعر أنني لم أعد على انسجام مع أي شئ.
ثم أشعلت لفافة تبغ وقد حشيتها بقطعة حشيش وأخذت أستنشق رائحة النيكوتين المترسبة على أصابعي في نشوة ولذة غريبة وبدأ أفكر في عمق في هذه الأسماء.

***

عدت إلى غرفتي السرية بعد دفن مشاعر زوجتي ، عندما صارت العلاقة بيننا كجبل جليد لا يذوب ، ومن يراني في هذه اللحظات يوصفني بالعائد من الموت وأنني حديث التخرج من المقابر ، الوجه شاحب ،العينان غائرتان ،والجسد في نحول متزايد ، قد يظن أن هذا أثر الحزن على زوجتي ، كلا ، فقد أصبحت مدمنا لكل أنواع الحبوب المخدرة بل وأصبحت أتاجر فيها ، لدي كميات لا بأس بها من الأقراص النفسية والعصبية أبيعها لشياطين الإنس إثر مبلغا من المال أعلى من قيمتها ما أكثرهم ، ومصادري هم معدومي الضمير من بعض مساعدي الصيادلة وبعض الصيادلة الجشعين ، حيث يعطوني كميات معقولة من حصتهم الشهرية وأصبح عملائي من الشباب الضائع البائس التي ماتت أحلامهم وطموحهم ودفنوها في مقابر الأوهام وأمسى عزاؤهم في النعي اليومي بهذه المخدرات.

***

كنت جالسا في غرفتي وعلى وجهي ابتسامة الانتصار ، فقد كانت خططي تسير بنجاح ساحق ، سافر سامح وابتعد عن طريق منى و عادت منى إلى والدتها بعد

زواج لم يكتمل ، في نشوة عارمة قد تغلبت على الشيطان في وضع الخطط .
جلست على الأرض و أمسكت بقلم الأسود العريض الخط وعلى لوحة بيضاء كتبت:
رياض ...خطة 1 (وصفة الباطنة) (تم)
منى ....خطة 2 (تحت التنفيذ)
ثم رسمت خطوط متعرجة منبثقة من كل اسم ، وعلى كل خط كتبت كلمات منفصلة
ثم ضحكت ضحكة شيطانية مخيفة.
أردت أن أهنئ نفسي و أحتفل بانتصاراتي فتناولت الأقراص المخدرة وغبت عن الوعي وحضرت إلى هذياني
لم تكن الهلاوس مقتصرة على إلهام فقط بل تعدت منى أيضا.

***

لم أترك نفسي للفراغ والضياع فقد كنت مستمرا في وضع الخطط والخطط البديلة في غرفتي الدموية السرية .
فأنا ما زالت أبيع الأدوية المخدرة طالما هناك من الحمقى من يريدون تغييب عقولهم وتدمير أجسادهم.
لكنني أحس بشئ من الخطر يقترب مني ، عامل الأمن لدي يلعب دورا رئيسيا في حياتي منذ زمن بعيد .. أستطيع استنشاق رائحة الخطر من بعيد ، لذلك قللت من نشاطى العبثي حتى أطمئن من أن لا يوجد عيون مراقبة تراقبني في صمت.
كنت على علم أنه سيتم رفع أسعار هذه الأدوية في الفترة القادمة لذلك لابد أن ألجأ لبعض الصيدليات الجائعة مادياً، حتى ألقي بالطعم وأخرج بصيد ثمين، لذلك أعدت شباكي لرميها في بحيرة رياض ، ينقصني المدخل فقط..ترى ما هي بوابة الدخول ؟.
اغتممت لرؤية لهذا المعتوه (ممدوح) ، إنه العريس القادم الذي سيتزوج منى، فهو حديث العهد بالانفصال عن زوجته وكما أقول دائما..لديها حق..من هي تلك بائسة الحظ التي ترمي بنفسها في التهلكة وترتبط بغبي مثل هذا الثمل ، شفاه زرقاء واحمرار عيون وأصابع سوداء ولسان سليط ،ذو أنفاس كريهة وعيناه مشروطتان بخطوط بنفسجية اللون ، محترف المخدرات ولا ينوي الاعتزال رغم أنه بلغ من العمر وتعدى الخامسة والأربعين.
هذا الأرعن مازال يتصابى ، دائم التحرش بالفتيات الصغار التي في عمر الزهور، مما سبب له فضائح كثيرة ، آثر أن يطلق زوجته ويستبدلها بالتي هي أكثر ثورة أنثوية ، ما زلت عند وصفي له بأنه مختل العقل ،معدوم الحكمة، عضوه التناسلي هو قائده رغم أنه قائدا فاشلا وخسر معارك كثيرة .

ممدوح يعمل مدرسا بمدرسة المهن الصناعية الثانوية ويبدو أن الطلبة قد حولوه إلى إنسانا غبيا فأصبح لا يتفاهم إلا بالعصا الغليظة كأنه يعوض النقص في رجولته بهذا العنف.
ممدوح صار عميلا نموذجيا من عملائى وكثيرا ما كان يشتكي من موت هرمونات الذكورة وأن بهذه المخدرات يحاول إحيائها من جديد ، بكل مكر وخبث استوعبت وفهمت ضالته المنشودة وأنا من أرشده إلى طريق منى.
قال ممدوح : لقد ذهبت إلى عبد الله ، وطلبت يد منى وفي انتظار الرد.
مصمصت شفتاي في قرف وأصيبت بالغثيان عندما تخيلت برميل القمامة هذا سيتزوج حورية الجنة منى .
سحبت لفافة تبغ من علبتها واشعلتها باللهب المتراقص الخارج من ولاعتي الخاصة والتي تشبه اللهب التي بداخلي إزاء سماعي لهذا الخبر ثم سحبت نفس عميق وشعرت بأنني أكثر هدوءاً وأكثر ضعفاً في آنٍ واحد.
قلت : هنيئا مريئا
ضحك ممدوح كاشفا عن أسنان قذرة أثر الدخان الزائد عن الحد وقال ببلاهة : ما هذا؟ أهي وجبة غداء ؟
توقف عن الضحك بنظرات نارية قُذفت من عيني وقلت بقرف: أيها الأبله المعتوه ..إنها بالفعل وجبة شهية وسوف يلتهمها من لا يستحق.
ابتلع ممدوح هذه الإهانة وهضمها جيدا لأنه يعلم تمام العلم أنني أتحكم في مزاجه عن بُعد فسجن لسانه ، ثم بعد برهة من الوقت قال بشئ من الخبث الباهت ورسم ابتسامة صفراء على شفتيه :
في ليلة الدخلة ستعطيني هدية مجانية من هداياك العظيمة..أليس كذلك؟

لم أتمالك نفسي وضغطت على زناد الغضب وأصابت ممدوح في مقتل بقولي: اسمع أيها الغبي ،لو تكلمت بهذا الحديث مرة أخرى سأجعلك تتبول على نفسك تبولا لا إراديا و أعيدك لتمارس عادتك السرية ،هيا..أغرب عن وجهي .
ارتعد ممدوح من تلك القسوة..لماذا أمطرت السماء فوق رأسه حجر من سجيل لتحرقه ؟
استعاد توازنه وقال: حسنا ..أنا امزح فقط .
ثم قام مسرعا قبل أن يحترق أكثر من ذلك فيكفي ما أصيب به .
رمقته وهو يغادر المكان ونظراتى تحمل الكثير من الحقد والغل ، نظرات لها تاريخ،ماضي عتيق لا يعلمه إلا أنا (السر الأعظم) المخبأ داخل أعماق قلبى وسراديب روحى مازال لدي الوثائق
مازال لدي الصور والمستندات

مازال الجرح غائرا
لازلت أنبش فيه ؛كي أتذكر
ولا يزال الانتقام...هو سلاحي الوحيد
ولكن أنتقم من مَن ؟
بصقت في قرف وكأنني أريد أن تصيب ممدوح الذي فارق المكان منذ لحظات.
وتمتمت في غيظ مكبوت :
إن الأيام تدور عكس عقارب الساعة ..من يصدق أن هذا الأحمق سيتزوج مني ؟
مازالت ارتجاف ألهبة الشمع تتحرك وترسم خيالات معوجة على الحائط وكأنها ترقص فرحة بانتصاري ونجاح خططي وخاصة مع العقبة الكبرى..منى
مثلما دفعت القذر ممدوح للزواج من تلك الفطيرة الشهية ، أنا أيضا من طالبته بالطلاق وإعطاء كافة حقوقها بعد أن أثبت له أنه يحمل تاريخ صلاحية منتهية كزوج وممارسته للشذوذ كانت كافية بأن يهرب بعيدا عن نفسه وعن الجميع.
فتحت اللوحة الكبرى والتي تشبه خريطة ذهنية

حرب..
منى....خطة ٣
رياض.....خطة ٣
الأدوية.....استراحة قصيرة بين الأشواط
إلهام....لم يتبق إلا القليل

ضحكت ضحكة شيطانية ارتج لها المكان فزعا.
لم أحتفل هذه المرة بتناول الأدوية الهلوسة ..فقد كنت بحاجة إلى عقلي.
أكثرت من إشعال عدد من الشموع ؛ كي تعطي مساحات أكبر من الرؤية..رؤية السر الأعظم ، أخرجت هذا السر من رحم صندوق خشبي قديم ذو حجم متوسط، سأعيد ولادته مرة أخرى
فهذا السر هو المولود الذي احتفظ بعمره البرئ حتى لحظته هذه
لم أرد لهذا المولود أن يرى النور ؛ كي لا يعرفه أحد
أخرجت صورا وأوراق كثيرة وتذكرت
عدت لسنوات بعيدة جدا ، سنوات العشق والهوى سنوات كان قلبي ينبض بالحب والرحمة ،سنوات هادئة في حارة قديمة.. لازالت تحمل نفس الاسم إلى وقتنا هذا (حارة اليهود).

***

الذي لا يعرفه أحد أن لي أصول يهودية قديمة ولكن جدي اعتنق الإسلام حتى لا يترك مصر وظل في هذه الحارة فقد كانت مرتعا للمسلمين والنصارى أيضا فلم تقتصر على

اليهود فقط وسكان الحارة مرتبطين ببعضهم البعض
أخرجت صورة لوالدي وهو يحملني وأنا صغير فقد كان يعمل ساعاتي وتذكرت الشارع الذي تشعر من نظافته أنه زجاج إلا أنه بلاطا اسودا.
صورة أخري أمام المعبد اليهودي
وصورة ثالثة لجده مع أصدقائه
عندما كبرت أصبح شبيها لجده بدرجة كبيرة ،
ارتجفت أطراف أصابعي العشرة وارتج قلبي وأنا أحمل صورة أحدث كثيرا مما الذي كان بين يدي منذ قليل
إنها هي..العشق..منال
منال ..حبيبتي الأولى وزوجتي الأولى وحياتي الأولي..فقد عرفت الحب وشعر بشبابه عندما تعرف إلى منال.. منال ستظل أجمل إمرأة رأيتها في حياتي ، الوجه المشرب بحمرة ، العيون العسلية ، الشعر المنسدل على كتفيها في حنان ، القوام الرشيق ، عذوبة الصوت ..أحببتها حبا تجاوز العشق والعبادة، وكان فوزي الأكبر هو زواجي منها فقد حظيت بنعيم الدنيا وجنة الآخرة.
تذكرت ليلة زفافه بها.. لم يعد يفصل بينهما أي حواجز أو موانع..لكن منال هي من وضعت السد العالي قبل بناءه في الواقع..ليس لتخزين العواطف الجياشة ولا الحفاظ على الحب الفائض عن الحد..إنما رهبة وخشية .
صبرت عليها لأنني لا أريد جسدها فأنا أعمق من ذلك اكتفيت بروحها وريحانها ..ظننت أنني قيس و عنترة وجميل ولم أسمع عن هؤلاء بأنهم أقاموا أي علاقة حميمة بمحبوبهم ..الحب العفيف كان قراره..ولو تساءلت كيف صبرت ..لا أعلم.
همت في فضاء الفضيلة والسمو الروحاني سبع سنوات ، ظلت منال عذراء وأنا أيضا لم يفسد الهواء النقي إلا عندما فتحت الباب واستقبلت الريح المحملة بالأسئلة التقليدية..أين الأحفاد؟
وبالطبع كانت ريح صرصر عاتية من الأهل..لم يفهموا أن علاقتنا هي أكثر سموا ، لم ولن يفهموا
وفي خلسة من الزمن استسلمت منال لرغبة أهلها وذهبوا للطبيب وعلموا أنها ليست فاضلة و لم تكن في عفة مريم العذراء .
هبطت من فضاء العشق وارتطم رأسي بحجر الواقع ، تهشمت عظامى وبرزت عيناي من محاجرها وتحطمت دماغي وخرجت منها مئات الأسئلة ،كيف أجمع أشلاء نفسي ؟
أصابني الشلل في قلبي وهجر زوجته وتحولت إلى كائن ليس حيا.
كانت ليلة غير مقمرة..عندما وافتها المنية ..ماتت منال وفي قلبها عفو ورحمة واعتذار وعذر
جاء إلى تقرير الطبيب أرسلها أبوها فيما بعد
جاء في هذا التقرير:

(أن تلك السيدة التي استمر زواجها سبع سنوات دون أن يتم اتصال جنسي مع زوجها لأنها تخاف والخوف يؤدي إلى انقباض عضلات الحوض فيعوق الاتصال لأن هذه الفتاة تعرضت لحادث اغتصاب وهي في السابعة من عمرها واختزنت الآلام في عقلها الباطن وتفجر الخوف والذعر مرة أخري في ليلة الزفاف).

قضيت ليال كثيرة بلا قمر ، ذبلت و شحبت وقهرني الاكتئاب الأسود، لم أغفر لنفسي ، أنا الذي جنيت على حبيبتي.. أنا من قتلتها..لم أسمع لها وكيف ولماذا لم أفعل وأنا حبيبها ؟
اختزنت آلامي في عقلي الباطن وعشت لسنوات في ذكرياته.

لم تهضم المعدة تلك الآلام ولم يقو القولون على التحمل فأصبحت عصبيا فلابد أن ألفظ ما اختزنه السنوات .
و يوما ..ذهب للمستشفى الحكومي..وهناك رأيت منال..لو تأملت الصورة التي بين يدي الآن ..لرأيت أن منال قريبة الشبه من إلهام ومنى.

ظللت حائرا ..وسألت هل من الممكن أن يعودوا الأموات إلى الحياة على هيئة أشخاص جدد؟

ارتبكت لرؤية إلهام..كانت أكبر من منال فتخيلت أن لو منال عاشت لأصبحت في نفس هيئة منى ، ظننت أنها رحمة مهداه من الله عز وجل ،ارتديت عباءة المخبر السري وعلمت أنها زوجة وأم..لم أكترث كثيرا لهذه المعلومات..تعمقت في الحفر للبحث عن مخرج ووجدت بصيصا من الأمل ..أخت زوجها..لم تتزوج بعد ..لأتزوجها وأقترب من إلهام وافتعلت الخلافات وظللت أحارب حتى انتصرت بالشقة في الطابق الثالث التي يسكنها إخوة زوجته
وهكذا..اقترب من منال..روحا وجسدا وعاد الشغف لمنال..أريدها..كأنني أريد أن أكفر عن ذنبي وانني اخطأت في حقها وأنني لم أفهم في وقتها..

كلما رأيت إلهام، تتحول في عيني إلى منال.
حتى وصلنا إلى حادث السطح..الذي وجدت فيه إلهام.. لم أتحمل الحياة مع زوجتي فقد اضطرت للهرب منها بالأدوية المخدرة والتي عرفت طريقها من الصيدلية التي عمل بها.
صعدت إلى السطح وأنا منتشيا مخدرا ..رأيتها..منال..اندفعت بكل شوق وبدون

تفكير..طلبت أن تغفر لي..طلبت أن تسامحني..أنا احبك....أعشقك..أنا اعتذر..اقتربت أكثر وأكثر..انفرطت إلهام مني ورمتني على البلاط وتناثرت كقطع زجاج مبعثرة، أفقت من شرودي وبكيت ظننت أن منال لم تصفح عني بعد كانت ليلة بلا قمر..كرهت هذه الليالي..لقد أصابتني بعقدة نفسية.

أفقت من ذكرياتي ووضعت سري الأعظم في رحم الصندوق مرة أخرى وكأنني أحتفظ برضيع في الحضانة .
وعدت مرة أخرى من بقايا إنسان إلى شيطان مريد يريد أن يحرق الجميع.

***

كانت الخطة الثالثة التي أعدتها في إطار التنفيذ، فقد أوشكت كمية الأدوية التي بحوزتي على النفاذ و المنقذ هو رياض الصيدلي.

قفزت من بين الدخان الكثيف الخارج من أعماق رئتاي إثر سحب عميق للشيشة التي كنت أدخنها..قفزت كالثعلب يسعى للانقضاض على الفريسة..فهل أفلح؟ بابتسامة مصطنعة على شفاه رياض استقبل ابتسامة ماكرة كانت على شفاهي ...فنحن الاثنين في ترقب وكأننا نواجه بعضنا البعض في مباراة ملاكمة كلامية والأكثر فكرا وتركيزا هو من سيفوز.
دقت المطرقة على الاسطوانة النحاسية وبدأت بالهجوم فسألت بشكل مباغت :كيف حال شياطين الإنس معك يا د/ رياض ؟
تلقى رياض تلك القبضة بصدر رحب ثم قال : ماذا تعني؟
امتدت قبضتي بقوة أكبر وقلت :
خفافيش الليل الذين يطيرون في الظلام بحثا عن إرضاء أمزجتهم الفاسدة، هؤلاء الملاعين كانوا يظهرون لي فجأة كالأشباح أو كزوار الفجر عندما كنت أداوم في الصيدلية ليلا .
ضحكت ضحكة عالية لم يشاركني رياض معها،ثم بكل قوة سدد إلي قبضة في فكي وقال :
إننا يا سيد منير صيدلية محترمة ذات سمعة طيبة وعملاء محترمين وغير معروف عنا إننا منفذ بيع لهذه السموم.
تلقيت تلك القبضة بسهولة وقبل أن أفيق منها أعقب رياض بقبضة من تحت ذقني وقال:

أعتقد أنه لم يصلك أي أحاديث هامسة سرية عن هذه الصيدلية وأنت جالس في المقهى بين الأدخنة وبين مدمنيها.
ترنحت للوراء قليلا وكدت أن أسقط .
طلبت استراحة من هذه اللكمات فقلت:
استمحيك عذرا د/رياض لم أقصد الإساءة لك ولا لصيدليتك انه سؤال طبيعي وكما أخبرتك من قبل أنني كنت اعمل بصيدليه ولي معارف صيادلة ومساعدين صيادلة والكل اجمع أن هذه زيارات إجبارية تحدث من قبل المدمنين مثل مفتشي وزارة الصحة .
هدأ رياض وأرخي ساعديه وقال:
صحيح ..لقد رأيت هؤلاء المسخ وكنت أرسلهم إلي صيدلية ذات سمعة طينية غارقة في الوحل وهؤلاء الشر ذمة يعرفونها جيدا ولكن الشيطان صاحبها يبيع الأقراص بأسعار سياحية والغريب أنه يتهمونه بأنه معدوم الضمير ..ألم يروا أنفسهم في المرآة ؟
استعدت قواي وآثرت السلامة وجلست على أرض حلبة الملاكمة وأكدت على كلامه أعرف تلك الصيدلية:.
جلس رياض أمامي ولكنه كان على استعداد للتصدي والهجوم خوفا من غدر المنافس : وأنا كذلك..يكفي أنه أحاط نفسه بسياج من حديد وكأنه في زنزانة ولا يفتح إلا مساءً ، وقريبا جدا سيسقط في وحل أعماله .
ابتلعت ريقي بصعوبة وكأن الكلام موجه إلي ..حاولت تغيير نوعية اللعبة ..فتحولت إلى لعبة الشطرنج.
وبدأت بتحريك العساكر :
أسمعت بالدواء الجديد (ترامادول)
رد رياض بعسكري مقابل وقال :
نعم أعلم به فهو دواء مسكن قوي وأثناء التدريب بالصيدلية من عشر سنوات ماضية كنت أجده راقدا بين أشقائه الأدوية في هدوء.. لكنه ليس جديدا !
ضحكت وقمت بتحريك الحصان وقال :
الجديد الذي لا تعرفه أن هذا الدواء حاليا هو العالم السحري لسعادة الزوجين ، لأنه يثير هرمون السعادة لمن يتعاطاه ،أقصد لمن يتناوله.
تعجب رياض من حديثي وقام بتحريك الفيل وقال :
ولكنه الآن ضمن الجدول الأول للمخدرات.
حركت الملك فجأة وقال:
لو أنك بادرت في بيعه بالتأكيد سيختلف عملائك وخصوصا من يحتاج إلى ترميم نفسه وإعادة حيويته وشبابه من جديد.
قمت من مكاني تاركا اللعبة كما هي..فقد فشلت في هزيمة غريمي ولكنني تركت رقعة الشطرنج بدون أن أكمل اللعب..حتى أعطي الفرصة لرياض أن يلعب في الجهتين .

كنت منشغلا في غرفتي السرية في إحكام الخطط ، وأمسكت باللوحة الكبرى وكتب اسم رياض ثم مددت بخط متعرج ملتوي كأنني أعصره ليكون في آخره اسم منى. وبين قوسين (رياض × منى)لقاء مباشر بشكل غير مباشر !! ضحكه الشيطانية على رقص لهب الشموع ثم تناولت الأقراص المخدرة ودخلت منى ، فلم تعد إلهام تروق له.
لماذا لا يفكر في ثورة الشباب ويعوض شبابه الذي لم يشارك فيه وهو شاب ؟ منى كانت تقبل عليه بروح منال..تارة يراها منال وتارة يراها منى..لا يهم..المهم..أن يلتهم تلك العروس المقبلة في دلال ناحيته ، والأهم أن تشتعل الغرفة بثورة بركانية..والأكثر أهمية هي استعادة سبع سنوات حرمان من الجسد،فقد شبع من الروح والروح ذهبت بلا عودة، أما الجسد فهو أمامه على صفيح ساخن ..هاهي قادمة..ترى من هي منال أم منى؟

***

كي أتوارى من نظرات الجميع وخاصة زوجتي، دعوتها إلى رحلة إلى أحد الفنادق في الإسكندرية، و المسكينة وافقت على الفور، ذهبنا وجاء الشيطان لزيارتي، لولا ما حدث من منى في آخر لقاء بيننا لما سارعت بتنفيذ آخر خطة.

***

<u>منى وآخر لقاء مع منير</u>

كان اللقاء وديا بيني وبين ومنير ،استجمعت شجاعتي وقلت في تحد : منير..أنا حامل
منير بلامبالاة : كاذبة
-أنا لا أكذب..الدورة الشهرية توقف منذ فترة و...
اكفهر وجه منير وتلون باللون الأسود وانطلقت من عيناه وميض الشر وقام من مكانه وأمسك بذراعي وجذبني بعنف قائلا:

قلت لك إنك كاذبة ..لا تحاولي العبث معي ..أنا لست مراهقا ساذجا مثلك..مجرد أن تقولي أنك حامل..سأخر راكعا على ركبتي وأتوسل إليكِ..وأتزوجك بشكل رسمي..إن لك وقت معي وبعدها سألقي بكِ على الأرض وأدوس عليك مثل فلتر لفافة التبغ..أفهمتِ؟

ذبت في نفسي ،تلاشت ملامحي وأصبحت بلا عنوان فقد كنت كاذبة بالفعل..خفت أن أتورط معه في تجارته للأدوية المخدرة..افتعلت تلك التمثيلية لعله يستجيب ويطلقني ويقطع الورقة المشئومة..لم يكن بيدي حلول أخرى غير الصبر للخروج من تلك الورطة

لماذا تورطت؟

أخرجني من صمتي وقال:

كما أخبرتك من قبل..أريد الحصة الشهرية للأدوية المخدرة من رياض وغيره وبعد ثلاثة أشهر سأطلق حريتك.

تغيرت ملامحه فجأة إلى اللين والنعومة في الكلام..مشيرا إلى أنه مفتقدني واقترب يعانقني ويقبلني ولكنني تمنعت، فهناك حاجز نفسي بيني وبينه وخرجت مسرعة تاركة قنبلة غاضبة تود لو تنفجر فيه وأتخلص منه ..عاد لأقراص الهلوسة...وانتظر تأثيرها.

***

يناير 2011

ظهر على شاشة الجوال رقم أمريكي .. ابتسم صاحب المحمول وضغط على زر الإيجاب.

- مرحبا
- مرحبا بك يا يائير
- اتمنى أن تكون المنظمة سعيدة بين
- بالطبع.. مجهودك وعملك خلال الفيس بوك على مرأى ومسمع من الجميع.. يا شكري مراد . هاهاها
- هاهاها

- مقالاتك عن التغيير والتمر وقصصك من قلب الشارع المصري لها صدى بلا حدود. اجادتك للغة العربية وفهم الواقع الحقيقي والعميق أعطى مصداقية كبيرة لرواد الفيس بوك
- سنوات طويلة بينهم وتعايشت معهم
- ما حدث في تونس سوف يحدث في مصر.. مسألة وقت .
- قريبا بالفعل.. المجتمع على صفيح ساخن
- منير
- نعم ؟
- لن أفسد عليك الأمر، واعرف تفاصيل قصتك، وبقى لي آخر مشهد.. كيف هربت من مصر؟ وكيف ماتت زوجتك؟
- الأمر ببساطة.. أن تقرير الطبيب الشرعي سوف يثبت أنها ماتت منتحرة. تناولت الكثير من عقار الديجوكسين بعد أن طحنت الأقراص ووضعتها في عصير البرتقال
- ها ؟
- وأنا فررت من مصر وبعد عدة رحلات ترانزيت وصلت إلى المملكة ومنذ ذلك الوقت وأنا أخدم القضية من خلال الفيس بوك. تحت اسم شكري مراد. الكاتب المعارض والذي يريد التغيير للمجتمع المصري.
- اهلا بك في مملكة.. إسرائيل.. قريبا سوف نستثمر ما تعرفه من المعلومات الغزيرة عن الحياة داخل مصر.
- وأنا مرحب تمام الترحيب
- Goodbye

اغلق منير أو شكري مراد أو يائير جواله وعلى وجهه ابتسامة خبيثة وهو يراجع خطته القادمة.. ثم سطر على ورقة بيضاء

أواخر يناير 2011...ثورة في مصر.

***

"قد يعود الغائب و قد لا يعود , ولكن تبقى حقيقة ثابتة أن الأمة العظيمة لا تهزم من الخارج قبل أن يقضي عليها أبناؤها من الداخل. منذر القباني

تمت بحمد الله

الجمعة

2021/10/15